١٦٧

روايات احلام

الفجر المرّ

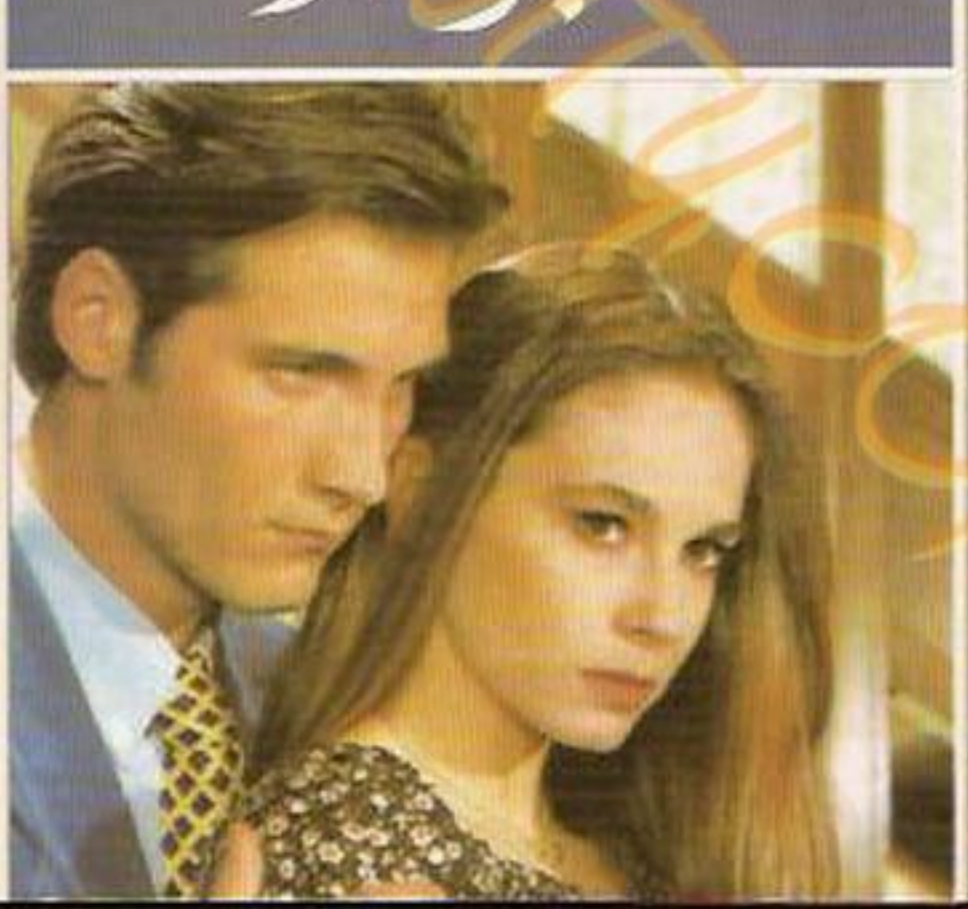

روايات احلام

الفجر المرّ

لنتصور أن الزمان عاد بنا إلى الوراء وعدنا أطفالاً فماذا يمكن أن نغيّر؟

لو حدث هذا مع مايسي لصححت عدة أمور... إلا علاقتها مع لانس!... يجب أن تستمر علاقة العداوة والشجار بينهما كما بدأت... وإلا فما هو البديل؟... إنها لا تجرؤ على التفكير!!...

... مايسي الآن في الثامنة والعشرين وها هي عشرون سنة مرّت على بدء علاقتهما. متقاربان كأخوة الدم. متنافران كالقطة والفأر. وقد ينقضي عمر مايسي هكذا... بدون حب، بدون فارس أحلام... إلا إذا حدث ما يجبرها على التفكير. وليت هذا لا يحدث!!... فلانس قد أصبح الآن ملك امرأة أخرى...

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل. الإمارات ٤ د. مصر ٤ ج. ليبيا
سوريا ٧٥ ل.س. قطر ٦ ر. المغرب ١٥ د. اليمن
الأردن ١ د. البحرين ٦٠٠ ف. تونس ٢ د. السودان
الكويت ٥٠٠ ف. السعودية ١٠ ر. عمان ٦٠٠ ب. العراق

روايات أحلام

مجلة قصصية اسبوعية تصدر عن شركة دار الفراشة
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

العنوان: لبنان - بيروت - طريق المطار - قرب جسر المطار
سنتر زعرور - الطابق الثالث
ص. ب: ٨٢٥٤/ ١١ - بيروت - لبنان
هاتف/ فاكس: ٨٤١٤٠٢ - ١ - ٩٦١

المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

جميع حقوق الطباعة والنشر والاقتباس
والتأليف محفوظة للشركة

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

تنفيذ وطباعة مؤسسة دلتا للطباعة والنشر

- حارة حريك - ظ فاكس ٥٥٧٣٢٦/ ٠١ - خليوي ٢٨٧١٥٨/ ٠٣.

١ - الخطر الأحمر

شارفت سيمفونية براهمز على نهايتها ومن فوق تصفيق الحضور المتلاشي أنبأ المذيع المستمعين أنهم كانوا يستمعون إلى إعادة لحفل أقيم السنة الماضية في قاعة «البرت هول الملكية» أحيته فرقة «أوركسترا نيويورك السمفونية» الزائرة بإدارة المايسترو وايدهام بيترز.

وايد! شهقت مايسي هيللر غبطة ودهشة ووضعت من يدها صفحة مكتوبة كانت تصححها.. يا لها من صدفة! وجدت نفسها تبتسم وتتذكر وايد كما شاهدته منذ يومين، ذراعه حول كتفي أمها وهما يلوحان لها مودعين في مطار كيندي.

تمطت مايسي ومالت إلى الخلف فوق الوسائد.. تفكر كم من أحداث مرت خلال عام واحد منذ اقتحم وايد حياتهم. كان يقرب من الستين من عمره، شعره رمادي كثيف يقرب إلى اللون الفضي، وجهه مجعد قليلاً، وسمعته كموسيقي وقائد فرقة تسبقه.. وكما قال لها وايد: قادة الفرق الموسيقية لا يتقاعدون أبداً، فهم يموتون على المسرح!

من زوج أمها، تحولت أفكار مايسي إلى أمها نانسي.. هجرها زوجها حين كانت طفلة وترملت بعد سنوات قلائل.. كافحت نانسي هيللر لتعمل كموسيقية، تذهب إلى حيث يوجد عمل.. تعيش وطفلتها في موتيلات رخيصة.. أخيراً أدركت نانسي أن تربية أكثر استقراراً مطلوبة للطفلة وبمساعدة مالية من زوج أختها، أرسلت مايسي إلى مدرسة

داخلية، لتقضي عطلاتها في «بريدون هاوس» في منزل خالتها هيلاري.. تلك السنوات المبكرة خلقت روحاً استقلالية قوية في نفس مايسي.. ومع اكتساب نانسي لمركز مرموق في عالم الموسيقى، انقسمت حياة مايسي ما بين المدرسة التي يجب أن تتحملها لأنها واجب، ومغامراتها الطائشة التي أودت بها دائماً إلى المشاكل.. لكنها كانت ذكية، تعطي كل اهتمامها للمواضيع الدراسية التي تعجبها.. كان «بريدون هاوس» يمثل نموذجاً للحياة العائلية، أظهر لها كم كانت تريد أن تنتمي إلى «عائلة» ما. لكن زياراتها لنانسي كانت منارة لها. ومع تركها مرحلة الطفولة، ازدادت قوة ولائها لأمها مع إدراكها لأحاسيسها الطيبة وطبيعتها الهادئة، وصممت أن تصبح مثلها. كان هذا هدفاً بعيداً.. وكانت مايسي مندفعة منهورة بعيدة عن الهدوء، ولها ميل غريب كي تزج بنفسها في المشاكل.. كانت لديها روح متململة، وفكر متسائل وتكره الارتباط في عمل واحد.

حين دخل وايدهام بيترز إلى حياة أمها سرّت مايسي كثيراً.

كان وايد قد دعي ليكون ضيفاً قائداً للأوركسترا التي كانت تقودها نانسي.. كان يومها في انكلترا يقدم سلسلة حفلات في كل أنحاء البلاد. وحسب قول نانسي، بدا كالدب خلال التمارين.. فيما بعد عندما سألها الخروج معه للعشاء، اكتشفت أنه ليس كما ظنته.. وقبل أن تدرك، كان قد خطفها وتزوجها وأخذها معه إلى أميركا. كان الزواج الثاني لكليهما.. كانت زوجة وايد الأولى وولده منها قد قتلا في حادثة سيارة بعد ثلاث سنوات من زواجهما، ورمى وايدهام نفسه في عمله دون التفكير بالزواج مجدداً إلى أن شدت انتباهه عازفة الكمان الأولى في الفرقة «الجذابة».

راقبت مايسي التودد العاصف بينهما من بعيد، ثم دفعت أمها أخيراً إلى الزواج.. بعد سنة، أقنعاها بزيارتهما في «نيوانكلند» وبقيت هناك ثلاثة أشهر حيث حاول وايد تشجيع فكرة بقائها على الدوام.

قال مختاراً كلماته بحذر:

ـ سيجعل هذا أمك سعيدة جداً. يمكننا أن نجد لك شقة لطيفة في مانهاتن.. حيث تستطيعين متابعة كتاباتك، فالإلهام ليس محصوراً بانكلترا.. ألبس كذلك؟ فكري بالأمر مايسي.. هه؟ لقد تمتعت بوقتك هنا معنا، أليس كذلك؟

ردت مايسي بسرعة:

ـ وايد.. تعرف أنني تمتعت.

كوّر شفتيه:

ـ إذن لماذا لا تبقين هنا؟ هل هناك شخص مميز في انكلترا؟

حدقت عيناه الرماديتان بها بتساؤل، فهزت رأسها:

ـ لا.. لا أحد مميز.. أحياناً أتساءل ما إذا كنت سأتزوج يوماً.

شخر وايد غير مصدق:

ـ هذا أمر لا يصدق، خاصة في مثل عمرك. يا إلهي.. لا بد أنك قد صادفت الكثير في سنواتك الثمانية والعشرين.. لا أستطيع أن أصدق أن أحداً لم يتودد إليك بعد!

بدأت مايسي تضحك.

ـ شكراً للإطراء وايد.. في الواقع حدث هذا بضع مرات.. لكنني صعبة الاختيار.

ـ حبيبتي.. حين تلتقين بالرجل المناسب، ستعرفين بالتأكيد.. حسناً.. سندعك تسافرين. وإذا وقعت يوماً بمشكلة، فنحن هنا.

كان الحديث مع نانسي محكوماً بإحساسها الطيب المعتاد وهدوئها.

ـ أنا تعيسة لسفرك، لكنني أنهمك.

كانتا تسيران على شاطىء «لونغ ايلند ساوند» في آخر يوم لمايسي هناك. لوّح وايد من المركب الشراعي الصغير، ولوحنا له. ثم أكملت الأم:

ـ أنا قلقة قليلاً مايسي.. فالشقة قد لا تكون بتصرفك الآن.

ردت مايسي:

- أوه.. لا تقلقي.. سأعطي المستأجرين فرصة التفتيش عن شقة أخرى، وسأسكن مع ستيلا ودون بايرد في هذه الأثناء.

- هل ستذهبين إلى بريدون هاوس لتزوري الجميع؟ إذا فعلت، بلغيهم سلامي وحبي.. لدينا عائلة صغيرة في انكلترا، لكن إذا احتجت إلى نصح أو مساعدة فسيقدمها لك لانس.

- ألا زال يكتب لك أمي؟

- بين حين وآخر.

- أفضل أن أطلب من روي.. فأنا ولانس لسنا على وفاق هذه الأيام..

- تعاطفي مع لانس.. لقد كنت تنغصين عيشه وأنت طفلة.. هل أخبرت الولدين عن كتابك؟

ابتسمت مايسي لانقلاب ابنا العم بلايوود إلى ولدين، وهزت رأسها نفياً.

- نادراً ما أرى لانس، تعرفين هذا. أما روي، فسأنتظر حتى يقرأ كتابي الثاني لأكشف له عن نفسي.

أدارت وجهها نحو الريح اتقاء وهج الشمس المنعكس من الماء.. وتدفق شعرها متطايراً خلفها، وضحكت:

- لا أستطيع الانتظار لرؤية وجه روي حين يكتشف من هي هذه المؤلفة الجديدة.. أنا لا أكاد أصدق نفسي!

- عزيزتي.. أنا أصدق. لطالما كنت مبدعة.. ولطالما أحببت ابتداع القصص حتى وأنت طفلة، ولست مندهشة أبداً لأنك تؤلفين كتاباً.. أنا فخورة بك جداً وكذلك وايد.

لفت ذراعها حول أمها المحبة:

- سأوسل لكل منكما نسخة موقعة.

- سأتطلع شوقاً لوصولها حبيبتي.. ألا تظنين أننا ابتعدنا كثيراً؟

استدارتا، وسعت عينا نانسي إلى زوجها القادم نحوهما في قاربه، ثم استراحتا على الشاب الذي يساعده.

- هل يجب أن ندعو هذا الشاب إلى العشاء، مايسي؟

ضحكت مايسي، ترائب بإعجاب دخول المركب الشراعي إلى الميناء.

- لا أعتقد.. فهذا ليس مرشح زوج مثل الآخرين الذين عرضهم وايد عليّ وأنا هنا. مسكين وايد! كل خططه لتزويجي ذهبت سدى. لا.. سنمضي آخر أمسية لنا معاً نحن الثلاثة فقط.. هه؟

رن جرس الهاتف بحدة ليعيد مايسي من وست بورت في كونكتيكت، إلى بريدون هاوس، آشويل، سوراي.. أطفأت الراديو ومدت يدها تلتقط السماعة، وكانت على وشك أن تتكلم حين قاطعها صوت على الجهة الأخرى:

- آنسة براوننغ.. لقد عدت! هل عندك وقت لإبريق شاي؟

وقبل أن ترد أقفل السماعة..

إنه لانس بلايوود.. لم يتغير كثيراً.. لا زال يعطي الأوامر تحت ستار الطلبات، ويتوقع من الجميع الطاعة!.. هاهي في انكلترا، وعلى عكس تكهنات أمها، تساعد لانس بدلاً من العكس!

ارتدت «الكومينو» الذي تستخدمه كروب منزلي فوق البيجاما الحريرية، ثم تطلعت إلى المرآة... لا ماكياج.. فهي لا تريد التأثير على لانس. حين يكون هناك شخص قد شاهدك في أسوأ حالاتك أكثر من مرة في الماضي، لا داعي أبداً لمحاولة محو تلك الذكرى. تنهدت ضاحكة وتساءلت بخشونة لماذا مر بها جمال أمها مرور الكرام. بدلاً من الشعر الأحمر القاتم، كان لها لون شعر لا هذا ولا ذاك. لكنه كثيف وهذا يكفي.. مررت مشطاً في شعرها دون اهتمام ثم وضعته على كتفيها خلف أذنيها..

وأين هما عينا نانسي الخضراوان الرائعتان؟.. نظرت إلى عينيها اللوزيتين اللتين لا تومضان، بأسى. لكن الشيء الذي كان يحزنها حقاً أنها لا تملك شيئاً من موهبة أمها الموسيقية! لقد ورثت عن أبيها لذي لا تعيه، طوله وأخلاقه الشرسة، ولقد تقبلت هذا في أواخر مراهقتها وحاولت السيطرة قدر المستطاع على طبعها النزق خلال فترة النضوج.. لكن ممن يا ترى ورثت حبها للكتابة؟

كان المطبخ دافئاً، والموقد منخفض الاشتعال استعداداً لليل.. وهي تحضر الشاي تذكرت أنها حاولت تحليل عائلة بلايوود أمام وايد حين سألها عن أقربائها في انكلترا.

قالت له معترفة:

- المسألة معقدة.. تزوجت شقيقة أمي الصغرى هيلاري من أرمل اسمه نيكولاس بلايوود، كان له من زوجته الأولى الميتة ابن اسمه لانس.. وكان يومها في الثالثة عشرة من عمره.. ثم أنجبت خالتي جوهان ثم آلين.. وهما ابنا خالتي الحقيقيين. كان زوج خالتي شريكاً في مؤسسة بلايوود للنشر واستقل طائرة مع خالتي هيلاري وصديق لهما لحضور معرض للكتاب في أدنبره.. وتحطمت الطائرة بسبب الضباب ولم ينجُ منها أحد.

تنهد وايد تعاطفاً، وأكملت مايسي:

- كان جوهان أوه.. دعني أتذكر.. في العاشرة، بينما كانت آلن في السادسة. وأصبح لانس وصيهما وأصبحت بريدون هاوس مركز عمله.. لكنه يستبقي شقة في لندن ويقسم وقته بين لندن وآشويل التي تبعد ساعة سفر بالقطار عن المدينة.. كان عمري واحد وعشرين سنة حين ماتا، ولم أصدق ما حصل.

وتنهدت متأثرة، فسأل وايد:

- وكم عمر الولدين الآن؟

فكرت مايسي لحظة:

- جوهان لا بد في الثامنة عشرة، وآلن في الرابعة عشرة.. وكان لانس طيباً جداً معهما..

- هل هو متزوج؟

هزت رأسها نفياً:

- لا.. يبدو أن رجال عائلة بلايوود لا يتزوجون صغاراً.

- لقد ضيعتني مايسي؟

- آسفة، أقصده وابن عمه روي.. كان العم نيكولاس شريكاً مع شقيقه دايفد، وروي هو ابنه.. لقد انضم إلى أبيه في العمل ولقد قبلا كتابي للنشر.

- إذن.. أنت لست دون عائلة أبداً..

- وجدهما جوهان وآلن عائلتي المباشرة، لكن عائلة بلايوود سمحوا لي أن أتبناهم جميعاً. كنت أقضي عطلات رائعة في بريدون هاوس.. إنها مكان جميل على أطراف آشتون.. حيث تشعر فعلاً أنك في الريف.. كان لنا مغامرات كثيرة.. لانس، روي، وأنا. لم يكونا يريدان صحبتي أبداً.. لكن لم يكن لديهما خيار، لأنني كنت أتبعهما حيث يذهبان!

أول مرة التقيا، كانت أطول من عمر الثماني سنوات، نحيلة بارزة العظام، بشعر أحمر بني محمرّ، قصير، فوقه قبعة بحّارة.. وكانت ترتدي قميصاً مربعاً، وجينزاً، وسترة من الدنيم، وحذاءً قماشياً في قدميها... كانت تبدو من الخلف كالصبي، لكن حين كانت تدير وجهها يبدو جنسها الحقيقي واضحاً. كانت عظامها بنية رقيقة، والقسمات ناعمة جداً لكي تليق سوى بأنثى. لم تكن جميلة.. لكن مدقق النظر فيها يمكنه أن يرى فيها شيئاً ينبيء بمستقبل، العينان اللوزيتان اللتان تلمعان كالذهب، خطوط الخدين والفم العريض الشهي.

سأل الصبي الأشقر بفضول: من هي؟

عبس الصبي الأسمر وقال دونما اكتراث: ابنة أخت هيلاري.

ابتسمت الفتاة للفتى الأشقر ابتسامة صداقة حقيقية وقالت:

- أنا مايسي. ما اسمك؟

رد الأشقر لها الابتسامة:

- روي.. أنا ابن عم لانس.

ردت الفتاة مايسي: وأنا ابنة عمه أيضاً.

ازداد عمق عبوس الأسمر وقال بوقاحة:

- لا.. لست ابنة عمي. نحن لسنا قريبين.

استدار وبدأ يمشي مبتعداً.. لكن روي ضحك لها بلطف وركض ليلحق بابن عمه.. بعد بضع لحظات بدأت مايسي تلحق بهما بثبات وتصميم، وهي تدس يدين مشدودتين في جيبي بنطلونها. وابتسمت وهي تتذكر كل هذا، وأكملت:

- كان روي سهل المعشر ولا يزال.. لكنني كنت أجعل لانس يغضب، وأصبحنا عدوين لدودين.. كنت أكره كوني فتاة، وأحب أن أقوم بمغامرات خطيرة، وكان لانس يعاني الأمرّين ليعيدني حية!

كانت مايسي لا تزال تبتسم للذكرى وهي تحمل صينية الشاي إلى الغرفة التي يستخدمها لانس مكتباً له.. دقت الباب ودفعت نفسها بالصينية إلى الداخل، ثم أغلقت الباب خلفها بكعب قدمها.

انتظرت لحظة، لتعتاد عينيها العتمة.. كان لانس جالساً وراء منضدته يقرأ رسالة ومصباح منفرد يلقي بضوئه.. وتمتم دون أن يرفع رأسه:

- شكراً لك آنسة براونلغ.

لا بد أنه كان في مناسبة مهمة، فقد كان يرتدي بذلة سهرة ولو أن ربطة العنق كانت الآن مفكوكة، والزر الأعلى للقميص مفكوك بدوره والسترة معلقة على ظهر كرسي.

نظرت مايسي إلى الرجل الذي عرفته طويلاً بفضول.. لا بد أنه في

الثالثة والثلاثين من عمره.. صبت الشاي وأكملت التفكير أن لانس شخص يلاحظه المرء فوراً.. كان له جبهة آل بلايوود العريضة والأنف الطويل المستقيم، وعظام الوجنتين العريضتين وخط فك قوي مربع مطبوع الذقن بشق مميز.. هادىء، بارد، أزرق العينين. وفم نبيل بشفة عليا رقيقة ووجه صادم، إنه أكثر من وسيم. على وجه العموم، هو شخص خاص لديه سيطرة كاملة على نفسه.. حتى الآن ما زال في داخل مايسي دافع لامتحان مدى سيطرته على نفسه حتى أقصى الحدود.. لكن هذا بسبب أن نظرته الغامضة كانت تدفعها إلى الجنون.. كانت تعرف تماماً أن وراء هذا القناع الهادىء المهذب قوة شرسة. وبكل تأكيد كان تهذيبه وقدرته على التحمل وتصرفاته اللامبالية نحوها، أسلحة صعب أن تتغلب عليها.

ربما حان الوقت الآن لمعرفة ما الذي يدفعه إلى الأمام، إذا قبل مساعدتها، فسيعملان معاً ويعيشان معاً مقربين.. «إذا» قبل مساعدتها؟.. فهناك إمكانية كبيرة أن يرفض!

وهي تأخذ الفنجان إلى المنضدة أدركت أنها كانت تعامل لانس كأمر مسلم به.. بدت معرفتها به الليلة أكثر حدة، وأكثر إدراكاً.. أعطى النضوج عمقاً أكثر لقسماته، واعترفت على مضض أن روايات روي عنه كقاتل نساء، يمكن تصديقها بسهولة.. صحيح أن روي إنسان طيب المعشر، سلس الحديث، إلا أن غرامياته عاصفة فاضحة.

وضعت الفنجان على الطاولة، ولاحظت، وقد وقع نور المصباح الخفيف على وجهه، الندب الصغير فوق عينه اليمنى حيث أصابته مايسي يوماً بمضرب بايسبول كانت تلوحه في الهواء وصرعته فاقد الوعي.

عند سماعه نعقعة الخزف، رفع نظره قائلاً مرة أخرى: شكراً لك..

وتابع يقول وعيناه تعودان إلى القراءة:

- .. أهناك شيء يجب أن أعرفه؟

سرعان ما سجل دماغه شيئاً، وارتفع رأسه بحدة وعيناه تسودان دهشة، بينما تصاعدت لطختا لون أحمر إلى خديه. . لكنه لم يسمح لهذه الصدمة سوى بلحظة ثم عاد إلى بروده قائلاً:

ـ مرحباً. . حمراء. . إلى ماذا أدين بهذا الشرف؟ أخشى الأسوأ.

لم تنجح يوماً في حمله على أن يترك لقبها التهكمي «حمراء» منذ أيام الطفولة. وكان استخدام الألقاب محبباً للصبيان. . وزاد التصاق الاسم بها حين جربت نوعاً من الصباغ على أمل أن تحصل على لون شعر أمها الأحمر البني. وحدثت الكارثة، واضطرت إلى العيش مع لون أحمر مائل إلى الأرجواني، فوشيا تقريباً، استغرق أسابيع ليزول. . ولم يكن من طبيعتها الاختباء وأظهرته بوقاحة، مقاتلةً أي شخص يسخر منها. وأحياناً كان لانس يضطر أن ينقذها، وينتهي به الأمر إلى مقاتلة خصومها. . وبينما كانت تنمو من طفلة هزيلة إلى مراهقة نحيلة جذابة، أصبح الصبيان أقل ميلاً للمزاح المزعج معها ما عدا لانس، الذي استمر، ولا يزال، يناديها بالحمراء. كان روي الوحيد الذي واساها خلال محنة الشعر «الفوشيا» إلى درجة أنه ادعى أن اللون يناسبها. .

ردت مايسي بهدوء:

ـ هذا ظلم منك. . مرحباً لانس. لا أستطيع أن أتذكر ما إذا كنت تأخذ السكر مع القهوة.

ووضعت وعاء السكر قرب الفنجان.

دفع لانس كرسيه إلى الوراء ووقف، يضيء مصباحاً آخر وهو يتقدم. . ظنته مايسي سيعانقها مرحباً، لكنه وضع يديه على كتفيها وقربها إلى دائرة النور:

ـ تبدين بصحة جيدة حمراء. . ظننتك في أميركا.

وأنزل يديه عن كتفيها.

لو كان روي أو وايد، لكانت نالت العناق منهما. . في يوم ما، لانس

بلايوود، سوف أخترق تحفظك اللعين الذي بنيته من حولك لمجرد النكاية!

ردت:

ـ لقد عدت منذ يومين. . فأنا ملاك الرحمة.

ورفعت نفسها إليه تقبل خده. . أحسته يتصلب ويتراجع قليلاً يهز كتفيه. . وماذا كانت تتوقع.

ـ لقد ظننت بك الكثير من الظنون فيما مضى حمراء، لكنني لا أذكر أنني رأيتك في دور ملاك من قبل.

ردت بلطف: هناك دائماً «المرة الأولى».

عادت إلى الصينية تأخذ فنجانها ثم جلست في مقعد قريب. . وسألت بصوت كئيب:

ـ ألا تعتقد أنني كنت ملاك رحمة حين ركضت ثلاثة أميال لطلب العون بعد أن كسرت ساقك في «واريل كايف»؟

رد بجفاء:

ـ بالطبع لا. كانت تلك غلطتك بعد أن ضعتِ في تلك المغاور اللعينة. .

ـ ربما كنت سبباً في أنك كنت في ذلك المكان في ذلك الوقت بالذات، لكنني لا أذكر أنني أنا من دفعك من فوق الصخور.

قال بلطف:

ـ لماذا لم أقتلك وأنت طفلة. . لست أدري. ماذا تفعلين هنا حمراء؟ وأين هي الآنسة براونغ؟

سألت والتأنيب العميق في صوتها: ألست مسروراً برؤيتي؟

نظر إليها مفكراً:

ـ سعادتي برفقتك لا يشوبها سوى ذكريات الدمار التي تليها عادة.

ضحكت:

- آه.. هيا الآن لانس.. كان هذا منذ سنوات مضت. ألا تستطيع أن ترى أني فتاة متعلمة مسؤولة وفي الثامنة والعشرين؟ الآخرون ينظرون إليّ هكذا.

ارتفع حاجبه لكنه بدا غير متأثر وهو يمرر عينيه عليها، ثم سأل:

- لماذا لست في أميركا؟

- أتريدني أن أدخل في تفاصيل شخصية أم تريد حقاً أن تعرف لماذا أنا هنا؟

عرفت أنها تمادت كثيراً.. فقد كان هناك لمعان تحذير في عينيه الباردتين الزرقاوين.. وتابعت:

- اتصلت بي آلين.

نظر إليها بعينين ضيقتين. ثم عاد للاستدارة حول المنضدة إلى كرسيه، يسأل بصوت مستسلم:

- ماذا فعلت آلين الآن؟

- ليس الكثير.. أنت الآن من دون سكرتيرة ومديرة منزل في آن، ولا رفيق أو مهما أحبت الآنسة براونتغ أن تدعو نفسها.

ساد الصمت إثر هذا. وانخفضت عينا لانس يخفي تعابيره. بعد لحظة، مرر أصابعه في شعره قبل أن يرفع رأسه مجدداً ليقول بكثير من التحفظ:

- الآنسة براونتغ هي سكرتيرتي، أدفع لها مرتباً لتقيم معي، كي يكون هناك أنثى أخرى في المنزل، ولأجل آلين.

- هكذا إذن.. حسناً، الآنسة براونتغ لم تعد هنا. وأعتقد أن امتلاك آلين لخفاش صغير قد ساعدها على الرحيل.

ساد صمت صغير بينما كان لانس يستوعب ما قالته، ثم قال:

- اشرحي.. أرجوك.

- بكل تأكيد بعد أن تشرب الشاي، فأنا أعرف أنك لا تحبه بارداً..

لقد استيقظت عند منتصف الليل لأحضر لك إبريقاً ساخناً ولا أريد أن أرى النتيجة تذهب سدى.

أخذ لانس فنجانه بوقار، وكشر للرشفة الأولى، ثم أضاف ملعقة سكر قبل أن يكمل ما تبقى. وقال متوتراً:

- لا يكاد يكون الوقت منتصف الليل.. ولو رأيت ضوء غرفة الآنسة براونتغ مشتعلاً وطلبت منها الشاي، فلن تمانع.

تمتمت مايسي بجفاء:

- أراهن أنها لن تمانع. لدي رسالة منها سوف تشرح لك فيها دون شك أن أمها مريضة.. وقد تذكر الخفاش.

أخذت الرسالة من جيبها ولوحت بها في الهواء.. وقف لانس ليأخذها وفتح المغلف بينما راقبته مايسي باهتمام.. قرأ محتوياتها بسرعة ورمى الرسالة على المنضدة، ثم صب المزيد من الشاي لنفسه.

انتظرت مايسي لحظات، ثم قالت متذمرة:

- وهل ستستبقي محتوياتها لنفسك؟ ألم تذكر الخفاش؟

- ضمن أشياء أخرى.. فأر أبيض، غراب أسود وحية عشب، ولقد وضعت خطوطاً سميكة تحت الاسم الأخير.

بدأت مايسي تضحك، ثم عضت شفتها.. عرفت أنه لم يكن يشعر بالتسلية، فخسارته للآنسة براونتغ لا بد أن تشكل أزمة له.

- تعرف أن آلين تحب المخلوقات الغريبة، كبيرة وصغيرة.. وأنت لا تسمح لها بالاحتفاظ بكلب.

رد ساخطاً:

- الأمر ليس أنني لا أسمح.. بل لأن هذا غير عملي. لا يمكنك أن تتوقعي من سكرتيرة أن تكون مسؤولة عن كلب في وقت نحن جميعاً خارج المنزل.. على أي حال..

وصمت، فأنهت مايسي كلامه:

- . . الآنسة براوننغ لا تطيق الحيوانات.

وضع لانس الفنجان من يده بشدة:

- اللعنة على هذه المرأة. . ! كانت سكرتيرة جيدة. . لكن. .

- . . لكنها لا تستطيع تحمل المراهقين.

اشتد ضغط شفتيه. . ثم انفرجتا بابتسامة رغماً عنه.

- بدا كل شيء على ما يرام.

- إلى أن بدأت تدرك أن إمكانية أن تصبح سيدة المنزل احتمال بعيد.

التفت إليها بحدة:

- هل قالت آلين لك هذا حمراء؟

قررت مايسي تجاهل الصوت الغاضب:

- لا لانس. . جوهان قال لي.

- المرأة تقارب الخامسة والأربعين.

- عزيزي لانس. . ما الفارق في هذا؟ كل شيء كان يدفع المسكينة كي تقع في غرامك. هناك فكرة رومانسية عن المحامي الوحيد المحارب لأجل العدالة، العائد إلى المنزل مرهقاً بعد كسب قضيته، ليجد الراحة متوفرة له بإبريق شاي ويد عطوفة تمسح له جبينه المحموم.

التوى فم لانس وتلاشت القسوة عن وجهه.

- لست وحيداً. لقد نسيت آلين وجوهان. . مسكينة الآنسة براوننغ.

- هل ستعود؟ أعني الآنسة براوننغ؟

هز رأسه نفياً فأكملت: عظيم. . وما رأيك بي؟

جمد لانس وهو ينظر إليها:

- ماذا؟ ماذا تعنين بالضبط؟

- عنيت ما قلته بالضبط. . هل أنفع؟

لم يرد، فأكملت كأمر واقع:

- أنا حالياً دون مكان أسكن فيه. . وأعرف الطباعة والاختزال. ومع

أنني أعرف أنك لا تحترم كثيراً قدراتي عموماً، أستطيع إدارة منزل خاصة بوجود بريسكوت. وأنا مؤدبة جداً على الهاتف ويُعتمد عليّ في استلام الرسائل. أمسح قدمي على الممسحة، أعلق المناشف المبللة. . وأتمتع بصحبة المراهقين والفئران البيضاء.

وابتسمت له مشجعة.

أجاب بصوت غير متأثر:

- لا يمكن أن تكوني راغبة في العمل لي حمراء. . مع أنك تعرفين أن غرفتك موجودة متى أردتها.

اجتاحت موجة احمرار وجهها. . ما أخبثه حين يكون لطيفاً هكذا!

- أنا لست معوزة لانس. . ولماذا لا أريد أن أعمل لك؟

- لماذا لم تبقي في أميركا؟ أعرف أن نانسي كانت تأمل في هذا.

تنهدت مايسي وقد عاد لونها إلى طبيعته:

- أشعر أن على القاضي الآن أن يتدخل هنا، «أيسمح صديقنا المحامي أن يلتزم بالرد على السؤال المطروح!» أنا لم أبق في أميركا لأنني لم أرغب في هذا. . والعمل عمل. . سيعطيك مجالاً للتنفس ويعطي الولدين راحة من الغرباء. لن تمانع لو ذهبت إلى المدينة أحياناً. . هل تمانع؟ أحتاج إلى أن أزور المكتب وأوقع الشيكات. . وربما يكون لدي بعض الأوراق أطبعها، لكنني سأتأكد من إنجاز عملك أولاً. . لأجل السماء لانس. . إذا كانت الفكرة مُنفرة لك. . فقل هذا! أنا واثقة أنني أستطيع أن أجد لك سكرتيرة كفؤة أكثر من الآنسة براوننغ، وتحب المراهقين والحيوانات.

- لا تقفزي إلى استنتاجات خاطئة حمراء. إذا كنت جادة، ففكرتك تبدو مثيرة للإعجاب.

أجفلت: حقاً؟

- أجل. . لكن يجب أن تبقى الأمور بيننا على المستوى المهني فقط.

استعادت وعيها وردت بحدة:

ـ طبعاً . . فمن السهل عليك أن تطردني حين تكتفي مني .

قال بخشونة :

ـ لم أقصد هذا . . إذا لم تقبلي فراشاً وطعاماً مجانيين ، فلن تقبلي بالتأكيد العمل كسكرتيرة مجاناً . . أنت دائماً تصلين إلى الحدود القصوى حمراء .

ردت عليه بابتهاج :

ـ وكنت دائماً حيث تريدني . . لا تكن متوتراً هكذا لانس . . فأنت سيء الظن بي . . أنا أقول لك بصراحة ، حين لا تعود قادراً على تحمل رؤيتي . . حين تصل بك الحدود إلى نقطة اللاعودة لك إذني في أن تقول هذا ، والأمر يسري علينا معاً . . سرعان ما سأقول لك متى اكتفيت . . أما الآن فهذا أمر يناسبنا معاً . . وأعدك أن أكون في أفضل خلق وتصرف .

ارتفعت زوايا فمه وابتسمت عيناه :

ـ لا سمح الله! أما بالنسبة إلى ما يناسبنا معاً فهو وجود آلين وجوهان كجزء من الاتفاق .

ضحكت وبقيت البسمة على وجهها .

ـ كيف حالهما؟ رأيتهما لوقت قصير اليوم .

ـ بعيشان ذروة المراهقة . إنهما في عالم خاص بهما لا يظهران إلا إذا أرادا شيئاً . . . مع أن جوهان مرتبك قليلاً ، لا يبدو إنني قادر على قول شيء أو فعل شيء يعتبره صواباً . . أما آلين فيمكن العيش معها ، ما عدا الحيوانات الضالة الشاردة التي تلتقطها . . هذا الخفاش يجب بحث أمره .

ـ أظنها وجدته جريحاً . . ولا أظنها ستحتفظ به . ثم ، لو كانت تنوي التدرب لتصبح طبيبة بيطرية ، فمن الطبيعي أن تحتفظ بمعرض حيوانات!

ـ أفضل أن أظن أن ليس لها دور في الخلاص من الآنسة براونتغ . . لسوف تغتبط كثيراً حين تعرف أنك حللت مكانها .

ـ وأنت لانس . . صيتك كمحام يرتفع . . سمعت عن نجاحاتك من

روي والولدين . . لو وجدت نفسي يوماً في مأزق ، سأطلب منك الدفاع عني .

ـ أشك في أن تحتاجي إليّ حمراء . . فلسوف تتكلمين دفاعاً عن نفسك جيداً أمام القضاة .

ـ قالت لي آلين إنك كنت في المحكمة اليوم . هل ربحت الدعوى؟

ـ أجل . . مع أنني لا أعتقد أنه يستحق البراءة .

صاحت بذعر مفتعل :

ـ لانس . . ! أتعني أنك دافعت عن موكلك وأنت تشك في براءته؟

سخر منها مستخدماً كلامها :

ـ العمل عمل . . ولا تنسي هيئة المحلفين . . على فكرة ، كيف حال نانسي ووايد؟

ـ على ما يرام ، وصحتهما جيدة جداً . . وسعيدان . رائع رؤيتهما معاً . .

ـ أنا سعيد لهذا . . هل تعمل نانسي؟

ـ قامت بعدة عروض . . لكنني أظنها تتمتع بأن تكون زوجة فقط . . منزلهما في كوناكتيكت جميل جداً ، لكنه بحاجة إلى لمسة امرأة . . أصبحت أمي أخيراً في عالمها المفضل . . ووايد يعطيها الحرية الكاملة . . حياتها لم تكن سهلة . . لكنها لم تتذمر أبداً . . ووايد مصمم على التعويض عليها .

ـ إنها امرأة رائعة . . موهوبة . . وأنا معجب بها .

ابتسمت :

ـ حقاً لانس؟ الإحساس مشترك . هذا ما قالته لي دائماً .

ـ مسكينة حمراء . . ما أزعج أن يمدحني أحد أمامك!

ـ أجل . . هذا صحيح . . من الصعب أن أتصورها تقع في غرام رجل مثل أبي . . قيل لي إنه فاتن لا يحتمل قلبه الهموم ، غير مسؤول . .

وظائف. وهي الميزانة المتعقلة.

- الحب حمى تصيب من لا يريدها.

رفعت حاجبيها ساخرة:

- عليك أن تكون حذراً بهذا الخصوص لانس.. يقال إنها حمى تصيب الساخرين بقوة أكبر.

وقفت لتجمع عدة الشاي وهي تنظر إلى بذلته:

- يبدو وكأنك كنت تكسب قضية وأنت تتعشى.

- كان عشاء على شرف قاض متقاعد.

استدار ببطء حول المنضدة:

- هل هذا شيء جئت به معك من اليابان؟

هزت رأسها إيجاباً، ترفع ذراعيها تترك له المجال لينظر إلى «الكومينو» المطرز:

- كان يجب صنعه خصيصاً لي.. فأنا أطول قامة من اليابانيات.

- وهل استعادت السفارة وعيها بعد عملك فيها؟

ردت ساخطة:

- أنت لعين لانس. لقد تركت العمل بنفسي بعد سنتين من الخدمة المثالية! حتى أنهم توسلوا لي لأبقى.

- وهذا ما يجعلني لا أفهم لماذا ترغبين في العمل هنا.. دعي عنك هذا، سأفعله بنفسي.

مد يده يأخذ الصينية منها، ثم سار نحو الباب يفتحه لها.

- عمت مساء حمراء.. وشكراً لمجيئك. أقدّر لك هذا.

ضحكت بنعومة وهي تتحرك نحوه وقد صدمتها فكرة متهورة أن لانس واحد من القلائل الذين يعجبونها.. وقالت:

- أوه.. يا لأخلاقك العالية! أنا أصبع ديناميت بالنسبة لك.

- هذه المرة أنت من تسيئين الحكم عليّ. وأنا صادق، أعرف أنك لا

تفعلين هذا لأجلي.. وأشكرك نيابة عن الولدين اللذان سرعان ما سيعتبرانك من الأمور المسلم بها.. أما أنا فلن أفعل.

ابتسمت مترددة وهي تتجه إلى السلم..

سألها لانس:

- هل سمعت شيئاً من روي مؤخراً؟

أدارت رأسها وشعرها يغطي خدها.. وقالت بمرح:

- كتب لي بضع مرات.. لكنك تعرفه.. كاتب سيء.. وهذا بسبب تعامله مع الكلمات طوال يومه، كما أتصور.. يجب أن أهزه قليلاً الآن وقد عدت.

كان لانس لا يزال يقف بالباب.. يرافبها ونظرة تفكير عميق على وجهه..

قال: نامي جيداً حمراء..

وبقي دون حراك إلى أن اختفت عن نظره.

* * *

٢ ـ الماضي أمامها

فتحت مايسي باب المطبخ صائحة:

ـ همم.. رائحة طيبة.. صباح الخير بريسكوت.

بريسكوت رايد في الخمسينات، صغير الحجم ونحيل، بوجه كئيب. نظر من فوق كتفه ثم أعاد اهتمامه إلى المقلاة فوق النار، وقال:

ـ يحدث كل شيء دائماً يوم عطلتي.. ماذا تفعلين هنا مايسي؟ ظننتك تعاشرين الأمير كان؟

ـ كنت، عزيزي بريسكوت.. لكنني الآن هنا. يسيل لعابي لهذه الشريحة من اللحم.

ـ ستحصلين على قطعة لك ما إن يتناول الحاكم قطعته فهو مضطر للذهاب إلى محكمة المقاطعة باكراً.

كان بريسكوت يحضر الصينية بكفاءة، وسألته متسلية:

ـ هل يتناول لانس فطوره في السرير بريسكوت؟

نظر إليها بذعر:

ـ بالطبع لا! إنه يتناوله في مكتبته.. إنه يفسد عملية الهضم في تناوله الطعام وهو يعمل..

أشار برأسه إلى إبريق القهوة: صبي لنفسك.

ـ شكراً.

وفعلت:

ـ لقد رحلت الآنسة براونغ إلى أمها المريضة ولن تعود.

فقس رفيقها بيضة في المقلاة: شكراً لله على هذا.

ـ وسأحل مكانها.

اتسعت عينا بريسكوت الحزينتين:

ـ حقاً! أعتقد أن أي شخص آخر سيكون أفضل من تلك المرأة.

ـ شكراً لك.. كان الحاكم مسروراً بمساعدتي.

رفع الصينية وبدأ يسير بها إلى خارج المطبخ.

ـ الرجل الغريق يتعلق بقشة.

ابتسمت مايسي لنفسها.. إنها تحب بريسكوت وتصرفه المتأنق الحزين، وكثرة أمثاله. إنه رجل غامض قليلاً.. ويعتقد الكثيرون أن لانس قد ساعده بطريقة ما.. لكن، مهما كان قد حدث، فهناك في نفس بريسكوت ولاء غريب للانس والعائلة كلها..

انفتح الباب بعنف ودخلت آلين كالعاصفة متذمرة:

ـ لماذا يحصل لانس على الأفضلية؟ أكاد أموت جوعاً.

ـ لأنه هو من يدفع ثمن الطعام.. صباح الخير آلين.

قبلت آلين ابنة خالتها وهي تمر بها.

ـ مرحباً مايسي. أتعتقدين أنني أزداد وزناً؟

ـ لا.. لكن لا يضرك بشيء أن تراقبي ما تأكلين. من يقول إن وزنك زائد؟ قهوة أم شاي؟ يوجد من الاثنين.

ـ شاي أرجوك. جوهان يقول هذا..

ـ على أي حال جسمك لا يزال ينمو.

ـ أجل! لقد أصبحت بطول مئة وخمسة وستين سنتمتراً حتى الآن ولا أريد المزيد.

احمر وجه آلين:

ـ أوه يا إلهي.. مايسي أنا لا أعني..

- لا تقلقي ابنتي.. المورثات التي جعلتني طويلة لا توجد فيك.

- لكن الطول يناسبك مايسي، وأنت جميلة نحيلة.. حتى أنك اشتركت ببعض عروض الأزياء.. وأنا أحب هذه البذلة.. إنها رائعة.

- شكراً آلين.. لا تبالغي في مدحي.

ابتسمت آلين: أعني ما أقول.

تنهدت بعمق:

- كم أنا مسرورة لمجيئك! فأنا بحاجة ماسة إلى ملابس.. العمة أنجيلا كانت سترافقني إلى المدينة، وذوقها في الملابس عتيق! الآن سترافقينني أنت بدلاً منها.

أخفت مايسي ابتسامة.. أنجيلا بلايوود والدة روي امرأة لها لسان لاذع.. وردت:

- هذا فقط إذا وافقت العمة أنجيلا.

كشرت آلين ثم ابتسمت:

- بإمكان لانس التعاطي مع العمة أنجيلا.. إنه جيد في هذا.

رمت نفسها على كرسي وفتحت كتاباً:

- يا لهذه الأفعال الفرنسية الكريهة.

- إذا كنت تريدين أن تصبحي طبيبة بيطرية، يجب أن تمري بالامتحانات.

وملأت لها فنجانها بالشاي.

صاحت آلين ورأسها لا زال منحنياً:

- هاه.. ! لا أتصور أن أضطر إلى الكلام بالفرنسية مع بقرة!

ابتسمت مايسي وهي تنظر إلى ابنة خالتها الصغيرة بمحبة.. كانت جميلة، شعرها كثيف بلون المربى، بشرتها منمشة وعيناها كبيرتان سوداوان.. ثم دخل أخوها جوهان إلى المطبخ بشعره الأحمر البني القاتم. إنه شاب جميل الطلة.. تسمانه اللطيفة عادة يشوبها اليوم تعبير

متجهم. قال «صباح الخير» دون حماس، وجلس إلى الطاولة يفتح دفتر تمارين.

قال بريسكوت معلقاً وقد عاد ليرى الأخ والأخت المتجهمين.

- ضحكة للحظة واحدة! لسوف تتأخران عن المدرسة لو بقيتما هكذا.

وبدأ بصب الطعام في الأطباق.

- لقد آن الوقت للحاكم كي يزعج نفسه ويتزوج، علها تستطيع جعلكما تستيقظان باكراً لتمضغا طعامكما جيداً.

رفعت آلين رأسها ونظرت إليه برعب:

- لانس؟ زوجة؟ لا بد أنك تمزح بريسكوت!

طغى إحساس غير عادي من الدهشة على مايسي، وسألت:

- وهل هناك شيء في الأفق بريسكوت؟

- أنا أقول إن الوقت حان ليتزوج، وهذا كل شيء.

انهمته آلين:

- كنت تتطلع إلى راحة يده!

نظر إليها نظرة متألم.

- تعرفين أن الحاكم لا يسمح لي بقراءة طالعه..

قالت آلين تقاطعه بإصرار:

- تحب أن ترى المستقبل بريسكوت..

مرر الأطباق فوق الطاولة:

- ربما، وربما لا.. لكن من المؤكد أنه سينزوج في يوم ما.. أليس كذلك؟ رجل مثله لن يبقى لوحده إلى الأبد.. صحيح؟

نظر إليهم نظرة إشفاق:

- يجب أن تفكروا بالأمر ملياً، فلا شيء يبقى كما هو.

قال جوهان:

- أعتقد أنه سيقع في يوم ما . . هناك تلك الشقراء المحامية التي تشاركه مكتبه . . والدها قاضي . . وأظن أن عينها عليه .

تأوهت آلين :

- دوللي الرهيبة تعني؟ إنها متسلطة كالمجنونة! أوه . . أتمنى أن يختار واحدة لطيفة .

صدها بريسكوت :

- لا رأي لك في المسألة . . ثم ابقي عينيك على عقارب الساعة وإلا فاتك باص المدرسة .

التقط إبريق القهوة وخرج .

قال جوهان وهو يقطع قطعة لحم :

- ربما سيكون أسهل عشرة لو كان له زوجة .

ردت آلين :

- لانس لا بأس به . إنه ليس شديد التصلب مثل بعض آباء أصدقائي .

تمتم جوهان خانقاً :

- ربما ليس معك . . لكنه كريه جداً معي .

قالت أخته :

- أوه . . هيا الآن جوهان، هذا كلام غير منصف . . لا يمكنك لومه إذا منعك من قيادة سيارته . . خاصة بعد حادثة الفورد .

صاح جوهان :

- قد يحدث هذا لأي كان . .

بينما كانا يتجادلان انفتح الباب ودخل لانس، وقال :

- صباح الخير جميعاً . إنه يوم جميل من أيام أيلول . . ألا يجب أن نكونا في الخارج الآن؟ الآنسة براونغ لن تعود . . ولسوف تحل مايسي مكانها في الوقت الحاضر .

صاحت آلين ابتهاجاً ثم رمت ذراعيها حول مايسي ثم حول أخيها

الكبير . . حتى وجه جوهان تهلل .

تابع لانس زاجراً :

- تعاطفي كله مع الآنسة براونغ . . ماذا ستفعلين بالخفاش، آلين؟

ردت بلهجة مجروحة :

- لقد تدبرت أمره . . السيد رينغتون سيعتني به .

نظر لانس إلى أخته بقسوة، وقرر أن لا يتابع الأمر أكثر فاستدار إلى أخيه :

- همم . . يمكنك أخذ الفورد هذه الليلة جوهان، إذا كنت ستذهب إلى نادي السكواتش .

تمتم جوهان شاكراً، والتقط كتبه تاركاً المطبخ دون أن ينظر إلى أحد .

قضمت آلين قطعة توست ولحقت به مسرعة، واستدارت عند الباب قائلة :

- تلك الدعاية في التلفزيون مجدداً مايسي . . تلك التي في المنطاد! شاهدها كل أصدقائي!

وذهبت تصيح مودعة من فوق كتفها .

قالت مايسي معتذرة :

- لم نستطع إيجاد شخص آخر . كلهم كانوا يخافون المرتفعات . . وجدنا فتاة قالت إنها تظن بأنها ستكون على ما يرام وذهبت معها لأمسك يدها، وهربت في آخر لحظة .

قال لانس بشدة :

- لم تخفِك المرتفعات يوماً .

بدأت مايسي تبتسم، تتذكر عدة أحداث من الماضي، لكنها غيرت الموضوع بالقول :

- أتظن أن الدروس تحبط جوهان؟

ـ أشك في هذا، إنه كسول معظم الأوقات، لديه دماغ لكن لا يبدو أن يستخدمه.

نظر إليها دون أن يكمل كلامه.. فسألت:

ـ ما الأمر لانس؟

ـ أحاول الاعتياد على فكرة كونك هنا.. وأحاول أن أتذكر متى كانت آخر مرة أقمت فيها هنا.

ـ قد يكون هذا صعباً عليك قليلاً.. حين كنت أزوركم في السنوات الماضية، كنت أنت غائباً في أكثر الأحيان. وكان غيابك منافياً للذوق، فهل كنت تقصده؟

ـ تعرفين تماماً أنني أقسم وقتي بين هنا ولندن، وأنت كنت خارج البلاد كثيراً.. أليس كذلك؟ في اليابان، الهند، وأخيراً أميركا.

استند إلى خزانة المطبخ الويلزية الطراز.. وأكمل بلهجة متسلية:

ـ ولا أصدق أنك اشتقت إلي.

قالت عايشة:

ـ أحب أن أتدرب على الكلمات الساخرة، والتعليقات الحادة كحد الموس.. وأنت المنافس العنيد لي.

ـ يا للأسف.. لقد وعدت أن تحسني التصرف.

ـ لكنني لن أوافق على كل ما تقوله.. فهذا غير مفيد لك.

كافأها بابتسامة بطيئة، وجدت نفسها ترد عليها غصباً.. ثم سأل:

ـ إذن أنت الآن بصدد عمل كبير حمراء؟

هزت رأسها:

ـ أرجو أن يكون كبيراً في النهاية.. لقد تشاركت مع ستيلا باباورو.. التقينا في الهند.. كانت مع مجموعة تلاميذ في «فان» عتيقة تعطلت وأخذنا نتحدث.. ولم نتوقف عن الكلام منذ ذلك الوقت.. وتزوجت أحد التلامذة، دون بايارد.. وقررنا أن نجرب المشاركة في الوكالة.

ابتسمت:

ـ وأسسنا ملائكة الرحمة. نحن نبني اتصالات جيدة ومعارف من التلفزيون وسمعتنا تنمو بثبات.. ستيلا تداوم في المكتب وتنظم العمل من هناك.. وهذا ما يترك لي وقتاً..

صمتت فجأة، تنظر شاردة إلى قهوتها، ثم شربت ما تبقى منها:

ـ.. يترك لي وقتاً لأقوم بالدعاية للعمل. هل لديك عمل كثير لي اليوم؟ قد أحتاج إلى الذهاب إلى المدينة لأحضر أغراضي.

ـ لا شيء ملحّ اليوم.. وأنا ذاهب حوالى الحادية عشرة والنصف.. بإمكانك المجيء معي. عادة آخذ السيارة إلى المحطة وأذهب بالقطار لكن إذا كنت ستأتين معك بحقائب، فسنذهب بالسيارة.

ونظر إلى ساعته.

ـ هل يمكنك ملاقاتي خارج المحكمة المحلية في هذا الوقت؟..

صمت لحظات، ثم تابع:

ـ بينما أنت هنا حمراء.. أتظنين أنك قادرة على محاولة معرفة ما بال جوهان؟ فقد يتكلم إليك.

تقدم إلى الباب ثم توقف ليقول من فوق كتفه: يعجبني ثوبك.

ثم ذهب.

جلست مايسي ووجهها بين يديها، وتعبير مستغرق التفكير على سماتها المرحة عادة.

دخل بريسكوت معلناً وهو ينظر إلى الباب:

ـ بعض الناس ليس لديهم عمل، لكنني يجب أن أطهو الطعام.. فهل تمنين عليّ بأن تنهضي؟

ـ بعد دقيقة بريسكوت. أريد أن أتكلم قليلاً.. ألا زالت السيدة دستي باي للتنظيف؟

ـ أجل.. لكنها لا تجرؤ على لمس مطبخي.

- إذا كان للانس سكرتيرة في مكتبه، فهذا يعني أن العمل الذي يأتي به معه ليس كثيراً..

قاطعها بريسكوت:

- لديه زبائن كثيرون في المقاطعة.

- .. إضافة إلى مراقبة الولدين.. وهذا لا يمكن أن يكون كثير الصعوبة الآن وقد كبرا.. أليس كذلك؟ هيا بريسكوت.. أعطني المعلومات! لماذا سكرتيرانه لا يبقين كثيراً؟

ضحك بريسكوت وبدأ يضع أوعية الطبخ في قصعة كبيرة:

- هناك عدة أسباب.. نحن هنا معزولين قليلاً.. ومع أن الحاكم يحاول إيجاد نساء كبيرات في السن، إلا أن المظاهر قد تكون مخادعة.. إذ يبدو أن جميعهن يضعن أفكاراً في رؤوسهن حوله.. البعض يردن أن يشملنه بأمومتهن مع الأولاد، وهذا ما يدفعه إلى الجنون! والبعض الآخر..

قاطعته متفهمة: يقعن في غرامه.

هز بريسكوت رأسه.

- كما قلت.. عليه أن يتزوج، وهذا سيحل كل شيء..

- هل هناك أحد.. بريسكوت؟

ضحك:

- حسناً.. لا أعرف ماذا يجري في لندن، لكنه يبقي حياته الخاصة لنفسه.. مع ذلك، فقد تجاوز السن التي يمكن أن يتهور فيها.. ثم إن مهنته تسير من نجاح إلى نجاح.

تقدم ليلتقط المزيد من أواني المطبخ المتسخة عن الطاولة، مكملاً:

- سيفعل دائماً ما يشاء.. كعادته. وطالما يبتعد الجميع عن المطبخ..

قالت مايسي تلاطفه: سأخرج.

تمطت بتكاسل فنظر إليها بريسكوت بحزن.

- ماذا عنك مايسي؟ متى ستحصلين لنفسك على وعاء طبخ ومقلاة قديمين؟

سألت:

- وعاء طبخ ومقلاة قديمين؟

- أوه.. أعني رجل.. زوج!

- وعاء الطبخ والمقلاة ليسا الأشياء المهمة في الزواج هذه الأيام بريسكوت.

- هه! أيمكن أن ألقي نظرة على كفيك قريباً؟

أرجعت كرسيها إلى الوراء.

- ألا زلت تعقد جلسات قراءة الكف بريسكوت؟

- بناء لدعوة سابقة فقط.. والحاكم لا يمنعني من هذا.. طالما أبتعد عن ذكر المستقبل مع العائلة.

ارتجفت مايسي: هذا ما ظننته..

قراءة الكف، أوراق الشاي، وورق اللعب، يبرع بريسكوت فيها كلها حين يكون في مزاج مناسب.

وصلت إلى الباب ووقفت تسأل:

- الحاكم سيقلني إلى المدينة فهل ستكون لطيفاً وتوصلني إلى المحكمة المحلية؟

هز رأسه موافقاً وأرسلت له مايسي قبلة، ثم خرجت. كانت لا تزال تبتسم وهي تطلب رقم مكاتب بلايوود للنشر وتسأل عن السيد غريغوري بلايوود، وأعطت اسمها. ما هي إلا لحظات حتى جاءها صوت روي:

- يا إله السماء! هذه أنت حقاً مايسي؟

ازداد عمق ابتسامتها:

- أجل، هذا أنا حقاً.. لقد عدت.

ـ لماذا لم تقولي إنك ستعودين؟ كنت لاقيتك في المطار.

ـ فكرت بأن أفاجأك.. أنا الآن في «بريدون هاوس».. وسأشرح لك كل شيء حين أراك. أنا قادمة إلى المدينة اليوم مع لانس.. فهل هناك فرصة لتناول الغداء معاً؟

ـ مهلك لحظة.. سأرى.

ابتعد صوته قليلاً ليعود قائلاً:

ـ أجل، يمكنني هذا في الواحدة في مطعم زيغفيلد.. اجلبي معك لانس.. قد يكون معي شخص سنهتمان معاً بمقابلته.

تقلبت مايسي بين السخط والتسلية:

ـ أوه.. لكن روي، ألا يمكننا..؟ روي.. من..؟

ضحك:

ـ لا.. أريد مفاجأتك.. أراكما معاً في الواحدة.

وأقفل السماعة قبل أن تحتج، فتمتمت: خبيث.

لن يكتمل أول لقاء لها مع روي بعد زمن طويل.. فلديها قصص مضحكة تريد أن ترويها له ولديهما معاً الكثير يقولانه لبعضهما.. روي، وهو في الثانية والثلاثين، لا زال لديه القدرة على المرح التي كان يملكها في الثالثة عشرة حين كان يقول جملته للفت الاهتمام: «هاي، أتريدين مفاجأة؟» ولم يتغير أبداً.

أوصلها بريسكوت إلى باحة محكمة المقاطعة حيث أخبرها الحارس بأن السيد بلايوود سينزل عما قريب، وأن بإمكانها لو أرادت الانتظار في سيارته الجاكوار المكشوفة البيضاء.

تذكرت الحديث الذي جرى وقت الفطور، وصاحت بعجب حين دخل السيارة ليجلس وراء المقود:

ـ يا إلهي! لانس.. هل كان جوهان يتوقع منك أن تسمح له بقيادة هذه؟

رد لانس بجفاء:

ـ لكنني سرعان ما انتزعت الفكرة من رأسه.

قادا بضعة أميال بصمت ثم سأل:

ـ هل حدث شيء يجب أن أعرف به؟

ـ رسالتان هاتفيتان. وصلت السيدة دستي لتنظيف الطابق الأعلى.. السيد دستي أصيب بتورم.. ابنتها حامل وتتوقع توأماً. ابنها جورج وقع في متاعب مع البوليس، وتعتقد أن السيد بلايوود سينصحها ماذا تفعل.. وصلت كمية الحطب. وأوصلت الخفاش إلى عيادة الطبيب البيطري، ويعتقد السيد وينغتون أنه على الأرجح سيموت، لكنني لن أخبر آلين بهذا.

ـ إذا كانت ستتخصص في طب الحيوانات، يجب عليها مواجهة الحقائق.

ـ لكنه قد يعيش.. أوه.. أجل.. ماذا ستفعل للغداء؟

ـ كنت آمل أن أحتفل بك.

ـ يا لها من فكرة رائعة! شكراً لك، لكن روي سبقك إلى هذا، ويريدك أن تأتي معي في الساعة الواحدة إلى مطعم زيغفيلد.. معه شخص يريدنا أن نلتقيه.

انتظر لانس إلى أن تجاوز شاحنة على الطريق وقال:

ـ فليكن زيغفيلد إذن.

استدارت قليلاً في مقعدها وعيناها على وجهه:

ـ شخص سيدهشنا أن نراه.. فهل لديك فكرة عمن يكون؟

ـ ومن أين لي أن أعرف حمراء؟ سنندهش معاً.. هه؟

استقبلهما رئيس النقابة في المطعم بالاهتمام اللائق.

ـ سيد بلايوود.. سعيد برؤيتك سيدي. السيد غريفوري بلايوود في الزاوية البعيدة. آنسة هيلر، لم نرك منذ أشهر.. أهلاً بعودتك.

ردت مايسي مبتسمة: شكراً بندكت.

ثم تمتمت والرجل يدلهما إلى الطاولة:

ـ يا لذاكرة هذا الرجل.

ـ لا بد أن روي أخبره بمن يتوقع.

كشرت وجهها: أنت ساخر خبيث!

ثم تقدم روي ليستقبلهما.. لم يتغير روي، عيناه وفمه يضحكان، شعره يلمع كالذهب تحت الأنوار الكهرمانية الصفراء، لف ذراعيه حول مايسي بحماس.

ـ مايسي.. تبدين مذهلة! ما أروع أن أراك! يا لها من قبعة جميلة.. ألا توافق لانس؟

استدار إلى ابن عمه وصافحه بحرارة. من أول نظرة، لا يشبهان بعضهما أبداً. روي أشقر الشعر بني العينين، بينما الآخر أسود الشعر بعينين زرقاوين.. لانس أطول قامة وأكثر نحولاً من روي.. لكن بعد فترة، تصبح كل الفروقات أقل بروزاً ويظهر أنف بلايوود والفك المستقيم.. هناك رابط قوي بين الرجلين عدا مشاركتهما الدم ذاته والمحيط، ولا مجال للخطأ بالحب الحقيقي الذي يكنه كل منهما للآخر.

مع انتهاء التحيات، استدار روي إلى من كان يجلس معه في الزاوية، وبصوت ملىء بالخبث قال:

ـ والآن! احذرا من هذه!

قبل أن يرد أحد، احتجت المرأة تدعي السخط.

ـ حقاً روي.. هذا غير عادل! نحن لم نلتق منذ سنوات.. وآمل أن أكون تغيرت منذ الطفولة!

أنقذ لانس مايسي من الحرج في اعترافها بجهلها، بأن تقدم إلى الأمام مبتسماً ومد يده:

ـ مرحباً روزلين.. لقد سمعت أنك عدت لذا لدي أفضلية على

مايسي..

التفت من فوق كتفه:

ـ أتذكرين روزلين كولينز، حمراء؟

شهقت مايسي ثم ضحكت:

ـ روز! يا إلهي.. لقد مضى زمن طويل.. أليس كذلك؟

كانت تفكر، روزلين كولينز! من أين نبشها روي بحق الله؟ وتبادلت المرأتان مصافحة حميمة، وتقبلت مايسي الكرسي الذي كان روي يمسكه لها.. التوت شفتا روزلين مرحاً، واستدارت إلى مايسي:

ـ لقد عرفتك فوراً مايسي.. ولو أنني كنت أتوقعك.. كنت طويلة هزيلة وأنت صغيرة.

قاطعها روي يغمز لمايسي: لم تعد هزيلة الآن.

تابعت روزلين:

ـ لا بد أنك الآن أطول من ستة أقدام؟

ـ خمسة أقدام وعشرة إنشات.

ردت مايسي بهذا حذرة.. روزلين لم تتغير أبداً، كانت لا تزال ودودة كالأفعى الكامنة في العشب.. وسأل لانس وهو يمرر لائحة الطعام إلى مايسي:

ـ ما الذي جاء بك إلى انكلترا روزلين؟

ـ قرر دادي أن يفتح قصر «تادوبل» هذا الشتاء ويستقبل بعض الناس، وهو بحاجة إلى مضيفة.. سنقيم حفلات منزلية مثيرة، ويجب أن تأتوا لتقيموا عندنا. لقد سمعت الكثير من المديح من دادي عنك لانس.

رد لانس بلطف:

ـ هذا لطف كبير من لورنس.. هل نطلب الغداء؟

كان الحديث خلال الغداء عاماً، مع أن مايسي بقيت تراقب روزلين بتسلية متزايدة وهي تطرح الأسئلة..

لم تكن روزلين يوماً صديقة مقربة لمايسي وهما طفلتين.. كانت ذكريات مايسي عن فتاة جميلة، صغيرة الجسم، أنثوية في ملابسها، دائماً الرابحة مع الكبار بسبب تصرفاتها الجيدة وطاعتها، لكن دموعها الزائفة وتصرفاتها التي لا تحتمل، كانت تبعدها عن بقية الفتيات في الجوار. ولطالما وقعت مايسي بالمشاكل من وراء ملاحظة بريئة المظهر من روزلين موجهة إلى العمة أنجيلا، التي كانت تشتكي بدورها إلى سلفتها خالة مايسي من أن مايسي يسمح لها بالانفلات المجنون، وبأن لها تأثير سيء على البنات. وكانت الخالة هيلاري تضطر إلى التصرف، لكن العم نيكولاس كان يشجعها ويقول لزوجته: لو أن مايسي تريد أن تكون صبياً فلتفعل، سرعان ما ستكبر وتصبح فتاة بسرعة تكفي حين يحين الوقت.

افترقت الفتاتان وهما في أوائل المراهقة وهي تنظر إليها الآن: امرأة جميلة واثقة من نفسها، مع أنها لا تظن أنها تغيرت كثيراً.. إنها الابنة الوحيدة للورنس كولينز، رجل صناعي ثري. ماتت أمها منذ عشر سنوات وبنى لورنس جناحاً جديداً في المستشفى العام في آشويل تخليداً لذكراها.. لقد ارتبط اسم روزلين في الماضي باسم كونت إيطالي، ثم باسم سياسي أميركي.. لكن لم يكن هناك خاتم خطوبة أو زواج في أصبعها، مع وجود الكثير منها في الأصابع الأخرى.

التفت روي يقاطع أفكار مايسي:

ـ الآن وقد عدتِ مايسي، ستتمكنين من حضور ذكرى زواج والديّ.

ـ كيف حالهما؟

ـ بخير.. لكني أمي متوترة الآن بسبب الحفلة.. تعرفينها.. كل شيء يجب أن يكون على ما يرام.

ورفع عينيه إلى فوق، فضحكت مايسي تتمتم بأنها تعرف!

وهم يخرجون من المطعم وبعد الاتفاق مع لانس على ملاقاته في مكتبه مع حقائبها، ودعت الجميع وسارت نحو مكتب «الملائكة». كان

بعد ظهر يوم جميل من أيام أيلول.. وهي تمر بمحل لبيع الكتب، فكرت مقدماً متى سيصبح كتاب «الاسم السري الثعلب» «كودنايم فوكس» على واجهات بيع الكتب.. وتمسكت بالفكرة بحماسة. «كودنايم فوكس.. بقلم م.. ن.. ويرنر». ويرنر كان اسم عائلة أمها قبل الزواج، الميم من مايسي، والنون من نانسي.. هكذا، ومع أنها استخدمت اسماً مستعاراً إلا أنه لم يكن بعيداً عنها.

استدارت إلى شارع جانبي، ثم توقفت عند باب أبيض لماع مدهون عليه بلون ذهبي كلمة «الملائكة». دفعت الباب وتسلقت سلماً ضيقاً ثم دخلت مكتب استعلامات. قدمت نفسها للفتاة الجديدة هناك، التي طلبت منها أن تدخل رأساً إلى مكتب ستيلا.

كانت ستيلا القصيرة البدينة، بشعرها الأشقر المتجعد، تتحدث في الهاتف. ولوحت مرحبة مشيرة أنها لن تتأخر. ابتسمت مايسي وهزت رأسها ثم غرقت في مقعد.. خلعت قبعتها.. ثم تثاءبت بشدة وضحكت.. تصوروا أن تلتقي روزلين بعد كل هذه السنوات! وبدأت تعيد النظر في حياتها الماضية وإحساس كئيب يتسلل إليها، فجأة أحست بالتعب من كل التجوال الذي قامت به في حياتها.. كانت فكرة الاستراحة في بريدون هاوس فكرة مهدئة.. مع ذلك فقد كتبت «كودنايم فوكس» عن جولتها في اليابان، أما كتابها الجديد «ثعلب فوق الصخور» «فوكس دون ذا روكس» فقد بدأته في نيويورك التي استكشفتها بدقة خلال إقامتها مع نانسي ووايد. إنها الآن في منتصف القصة، ولا تحتاج سوى إلى إغلاق باب غرفتها على نفسها لتكملها.. لكنها لم تستطع مقاومة إغراء إسداء معروف إلى لانس!

ـ.. قرر أن يقبل عرضك؟

عادت مايسي إلى وعيها من الذكريات مع سماع آخر جملة تقولها ستيلا. وأدركت أن المخابرة الهاتفية قد انتهت:

ـ آسفة ستيلا . . ماذا قلت؟

ـ هل قرر ابن خالتك أن يقبل عرضك؟

ـ لانس ليس ابن خالتي، وأجل، قبل عرضي في الوقت الحاضر.

ـ أنت لا تتحدثين كثيراً عن لانس كما تتحدثين عن روي.

ـ لانس ضدي تسعة وتسعين في المائة من الوقت. . إنه يؤمن أنني طائشة، غير مسؤولة، ومجنونة.

ـ يبدو لي كالدب البرّي.

ـ في الواقع لا. لكنه يحمل مسؤوليات كثيرة ألقيت على عاتقه باكراً، ويعتقد أنني واحدة منها. في الواقع، حين كنا أولاداً. كان يبتدع المغامرات التي يتشعر لها البدن ويحاول جهده إبعادي عنها. . لكنه لم يكن ينجح. . أما الآن. . فقد أسس لنفسه اسماً محترماً في عالم القانون ويمكنه أن يكون رفيقاً جيداً حين يريد. . ونحن نتعامل مع بعضنا بكل حذر.

ـ هل هما متشابهان. . روي ولانس؟ التفت روي لوقت قصير إذا كنت تذكرين.

خلعت مايسي قبعتها تحك جلدة رأسها:

ـ أعتقد من الخارج فقط، لكن لانس أسود الشعر أزرق العينين. كلاهما له دماغ رهيب ويارع في عمله.

أبعدت مقدمة شعرها عن جبينها وتراجعت إلى الوراء في مقعدها. . ثم تابعت:

ـ روي شاب منطلق، سهل المعشر، كسول، مرح. . زير نساء عابث. بينما لانس معقد أكثر. . لا يظهر مشاعره، متشكك، لكنه أكثر تحملاً للمسؤولية من روي. . ويبقي حياته الخاصة خاصة. يمكن أن يكون قاسياً دون رحمة إذا أحس أن هذا ضروري. . لكن روي هكذا كذلك.

ـ أوه. . إنهما مثيران للاهتمام.

انفتح الباب ودخلت فتاة الاستقبال تحمل صينية شاي. . وابتسمت ستيلا قائلة: شكراً جيني.

حين خرجت الفتاة، سألت ستيلا:

ـ هل أخبرتهما عن الكتابة بعد؟

هزت مايسي رأسها نفياً، فتابعت:

ـ ولا حتى روي؟

ـ خاصة روي. . لكنني سأقول لهما في النهاية طبعاً. سيكون محرجاً لو رفضها. . ! كنت مصممة أن تقف قصة «كودنايم فوكس» على قدميها لوحدها. صحيح أن روي لم يكن ليتردد أبداً في القول لي إنها فاشلة إذا كان هذا ما يعتقده، لكنني لم أرغب في إعطائه هذه الفرصة. . البلابوود يظنان أنني رجل، وأنا لم أكشف نفسي أمامهما.

ملأت ستيلا فنجاني الشاي:

ـ م. ن. ويرنر يبدو اسماً مذكراً. . ثم قصة جاسوسية لا تبدو من صنع امرأة في العادة. بطلك «فوكس» رائع رهيب، ولا أستطيع أن أصدق أنه من صنع خيالك.

وقفت برشاقة لتعيد فنجانها إلى الصينية:

ـ لو كان حقيقياً لاختطفته دون تردد. . كيف حال العمل. . أم لا يجب أن أسأل؟

ـ بل اسألي. . إنه ينمو باضطراد. . لو عصى علي أمر في أي وقت، أيمكن أن أتصل بك؟

ـ طبعاً. . أرى أن دعاية المنطاد قد عادت.

ـ قد يكون هناك قفز بالباراشوت قريباً. .

تهلل وجه مايسي:

ـ عظيم! إذا لم تجدي أحداً يقوم بالقفزة اتصلي بي.

أطلقت ستيلا ضحكة مقهقهة ثم سألت:

ـ هل ستتمكنين من الاستمرار في الكتاب وأنت في سوراي؟

ـ يجب أن أتمكن.. كدت أبوح بالأمر للانس هذا الصباح، لكنني منعت نفسي في الوقت المناسب.

رفعت يدها لتنظر إلى ساعتها:

ـ من الأفضل أن أذهب.. شكراً لجليك حقائبي معك ستيلا.

أخذت معطفها عن الكرسي وارتدته، ثم ترددت حول قبعتها وقررت أن تحملها في يدها.

ـ أشعر أنني مخادعة ستيلا.. لا أكاد أجيء إلى هنا.

استدارت ستيلا حول منضدتها وعانقت صديقتها.

ـ لا تكوني سخيفة.. لقد أقلعنا بالعمل معاً. والآن أخذت كتابتك كل وقتك، وهي الآن أفضل بكثير ويجب أن تركزي عليها.. نحن قادرون على إيجاد من يساعدنا في المكتب.. في الواقع كل شيء يسير على ما يرام.

رضيت مايسي، وقالت:

ـ تابعي الاتصال بي. تعرفين الرقم ويلغي حبي لروز.

حين خرجت مايسي، جلست ستيلا خلف مكتبها تتساءل ما إذا كانت ستتمكن من تقديم مايسي إلى الشريك الجديد في مكتب دون للمحاسبة دون أن يبدو الأمر وكأنها تعمل «كخاطبة».

وهما مسافران في طريق العودة إلى المنزل، والحقيبتان محشورتان في الخلف والجاكوار تقطع المسافات، سألت مايسي:

ـ كيف وجد روي روزلين بحق السماء؟

قال لانس:

ـ أعتقد أن لورنس وضع بعض الأعمال في طريقهما، وتعرفين العمة أنجيلا.. فهي ترسل دعوة للعشاء لكل من يحتل الصفحة الأولى في

التايمز، حتى ولو كان غوريلا من حديقة حيوانات لندن.

ضحكت مايسي ثم تنهدت: مسكين العم دايفد.

ـ دايفد على ما يرام. يعيش في عالم الكتب، ما رأيك بمفاجأة روي؟

ردت بهدوء:

ـ لقد كانت شوكة في الخاصرة ونحن صغار.. وأشك أن تكون تغيرت.

نظر إليها لانس بحدة.. لكنه لم يعلق.

* * *

٣ ـ لم تعد طفلة

بعد انقضاء أسبوع، أحست مايسي وكأنها لم تبتعد عن المنزل وانسجمت بسهولة مع حياة الأسرة.. أحبت شكل المبنى الغريب غير المنتظم.. وكانت سعيدة بالتدفئة المركزية والتسهيلات الحياتية الأخرى فيه.. وقفت لتطل من نافذة غرفة نومها، تمتع عينيها بالحديقة في الأسفل.. كانت الفسحة المزروعة بالخضار خلف المطبخ فكرة بريسكوت، وكان يحرسها بكل غيرة. أما الباقي فقد كان مجموعة أشجار صغيرة شائكة، حقل ترويض خيول، مرجة عشب مقصوص مزينة في تلك الآونة بألوان أواخر الصيف، على الجدار تحت النافذة تعريشة جميلة بيضاء عاجية الزهور.

لطالما كانت مايسي على وئام مع ابني خالتها آلين وجوهان.. واستطاعت أن ترى سبب قلق لانس على جوهان.. إنه الأهدأ بين الولدين، لكنه يبدو منزوياً أكثر وسريع التأثر.. حاولت التدخل بلطف لمعرفة السبب، لكنها لم تصرّ. فلو أراد أن يتكلم فسيفعل هذا في النهاية.

أما آلين فكانت بهجة للنفوس، وتُظهر كم هي سعيدة بوجود مايسي بقولها هذا دائماً، وإظهار اهتمام كبير بملابسها وماكياجها.. وشجعت آلين أن تقص شعرها الناعم المتطاير وأن تعطي أظافرها الاهتمام الأسبوعي اللازم، في محاولة لمنعها من قضمها.

لكن لانس كان الأكثر إثارة للدهشة، فمنذ أصبحت مايسي امرأة

ناضجة لم تبق كثيراً في صحبته حيث كان يميل إلى الاستماع أكثر من الكلام، وينظر عادة إلى ما يجري بعين ساخرة.. مع مرور الأسبوع في شهر أيلول ثم إلى تشرين الأول، أصبح لديها يقين بما كانت تشك به دائماً، أن وراء واجهته الهادئة عمق خفي ينتظر من يكشف عنه.. ولطالما جربت فطنتها لتجد أن تبادل الكلام معه مرهق.. وجدت أن عمله مثير للاهتمام وتعاملت معه بكل سهولة بعد أن اعتادت على الألفاظ القانونية. كانت تسجل عليه نقاط نجاح في جدالهما، وكان ابتهاجها الذي لا تكاد تخفيه يجعله يبتسم ابتسامة كسولة من زاوية واحدة من فمه. وكان يصدمها لهفتها كي تجعله يبتسم.

حتى أنها بدأت تكون ملفاً ذهنياً بالأصوات الهاتفية التي تسمعها.. جون موظف المكتب لديه لكنة المقاطعة الغربية.. السيد رايدون المحامي ذو اللكنة الاسكتلندية الجذابة.. ودوللي وودز المحامية الزميلة ذات الصوت اللطيف الذي لا ينتمي إلى مقاطعة ما.. كانت مايسي تفهم سبب تضايق آلين من أنها تتكبر عليها كثيراً، فعلى الهاتف يبدو صوت دوللي متسلطاً.

دخلت مايسي ذات صباح إلى الحمام منتظرة أن يكون فارغاً.. كان لانس وجوهان يستخدمان الدوش في الحمام السفلي، وكانت قد سمعت آلين تنزل السلم، لتجد لانس يقف عند المغسلة والمنشفة حول عنقه يرتدي شورتاً قصيراً أبيض، يحلق ذقنه، فتوقفت خطواتها لرؤيته تتمتم باعتذار، وبدأت تتراجع.

قال بهدوء: مهلك.. أكاد أنتهي.

أنهى جرف رغوة الصابون عن ذقنه وبدأ يغسل الشفرة تحت الماء.

ـ إنها غلطتي.. لكن جوهان سيقني إلى الحمام في الأسفل.. وبما أن هذا كان شاغراً..

جلست على المغطس وقالت متثائبة:

ـ أهلاً بك ضيفاً . . أخشى أن أكون أطلت النوم .

كانت تعمل إلى وقت متأخر ليلاً، تطبع مخطوطة كتابها الجديد، وها هي تدفع الثمن الآن، وهي تراقبه شاردة فكرت كم تخدع مظاهر الأجسام وهي في الملابس . . وهي تنظر إلى ظهره وأطرافه، رأت أن هناك رجلاً قوي الجسم يختبىء تحت تلك الثياب الغالية الثمن، وقالت :

ـ لقد اكتسبت سمرة الشمس بشكل رائع لانس .

نظر إليها عبر المرآة :

ـ لي أصدقاء في فرنسا .

مسح قليلاً من الصابون عن أذنه، ووضع الشفرة والفرشاة والصابون في حقيبة خاصة . وأكمل :

ـ إنها منطقة «دوردوغن» . هل سمعت بها؟

هزت رأسها :

ـ سمعت أن المكان جميل جداً هناك .

ـ إنه الأفضل خارج الموسم . .

مرر يده على خده متفحصاً باكتفاء، واستدار عن المرآة .

شهقت :

ـ لانس . . كيف فعلت هذا؟

نظر إلى أثر الجرح تحت قفصه الصدري ورماها بنظرة ساخرة :

ـ هذا، عزيزتي الحمراء، ذكرى نزهة دراجات حين كنت في السابعة عشرة . . وقعت متثاقلاً من على «كويلو هيل»، أتذكرين؟

ـ بالطبع أذكر . . لكنني لم أكن أعرف أنك مدموغ بها مدى الحياة .

أرجعت كم الكومبنو لتكشف عن ندب مماثل على طول ذراعها، وقالت بابتهاج :

ـ لقد وقعت وجررتك معي . . أيها المسكين! . . أتساءل لماذا نجا روي من أي أذى طوال تلك المدة؟

ـ لأنه كان يبتعد عنك .

مرر مشطاً في شعره بسرعة :

ـ آسف لأنني لم أقفل الباب . . أرجو أن لا أكون تسببت لك بخجل أنثوي . .

ابتسم ساخراً واستدار ليذهب .

ـ لقد كبرت لانس والشعر على صدرك تضاعف لكن لا تنسَ! لقد رأيتك تسبح عدة مرات . .

وماذا بظنها كانت تفعل خلال العشر سنوات الماضية؟

توقف عند الباب لقولها هذا، واستدار ببطء ينظر إليها ملياً بعينين باردتين :

ـ وأنت كذلك . . حمراء، القنفذ النحيل تحسن كثيراً .

وخرج .

جلست مايسي مكانها لحظات وهي تبتسم . . لقد جرّت على نفسها هذا . ثم وقفت تنظر إلى نفسها منتقدة في المرآة . . شدّ شبح ابتسامة فمها . . هل تمكنت أخيراً من أن تجعل لانس ينظر إليها كامرأة ناضجة؟ مدت لسانها لنفسها وأقفلت باب الحمام .

كان دايفد وأنجيلا بلايوود يعيشان على بعد نصف ميل في منزل يدعى «هولي لودج» . . كان روي الذي يملك منزلاً في لندن يزور آشويل باستمرار ويزور بربدون هاوس كذلك . في هذه المناسبات . . كان محبوباً لابني عمه الصغار، ويصل دائماً دون أن يتوقعه أحد يقترح مشواراً أو مشروعاً . وأخذ يسأل مايسي عن إقامتها في أميركا . . كان يعرف نيويورك جيداً . . وكادت مايسي تعترف له أنها م . ن . ويرنر، لكن شيئاً ما منعها . إنه قرار اتخذته أن تبقي على سرها كي ترى مدى النجاح الذي ستحصل عليه قصتها الأولى .

عاد مايسي وروي إلى علاقتهما الممازحة . يتمتعان برفقة بعضهما .

وهما عائدان من سهرة في لندن، كسر روي الصمت الودي ممازحاً:

ـ هل تشاجرت مع لانس مؤخراً؟

ردت بصوت متعالٍ:

ـ نلتزم لانس وأنا بأفضل ما لدينا من أخلاق.

ضحك روي:

ـ حقاً؟ هذا ما لا أستطيع تصديقه!

ضحكت مايسي بدورها:

ـ مع ذلك فهو صحيح، مرّ ما يقارب الثمانية أسابيع ولم نتشاجر مرة واحدة!

ـ آه.. حسناً.. وجودك في بريدون هاوس يناسبه.. أليس كذلك؟ أتساءل ما إذا كان ضبط النفس سيكون ضغطاً كبيراً على أعصاب المسكين!

أصابت وخزة عدم ارتياح مايسي.. ونظرت إلى روي مترددة.. هل هذا هو سبب نجاحها مع لانس؟ سياسة متعمدة من جانبه؟ الفكرة كانت محبطة قليلاً.. لكنها قالت بمرح:

ـ إنه يسدي لي معروفاً كبيراً كذلك.. وأنت لا تعرف شيئاً مع لانس، أليس كذلك؟ إنه لا يفصح عن الكثير.

هز رأسه موافقاً وهو يقود «الموستنغ» عبر طرقات ريفية ملتوية:

ـ أتذكرين حين تحول لانس إلى الحقوق ولم يقل لأحد إلى أن انتهى؟ كان العم نيكولاس مستاءاً كثيراً، وأنا كذلك. كنت أتطلع إلى اليوم الذي سيعمل فيه معي بعد تقاعد الكبار.

وخفف سيره ليقف أمام المدخل. سألته مايسي:

ـ ألن تدخل لتناول القهوة؟

ـ لا.. يجب أن أقاوم الإغواء..

وضع ذراعه على كتفيها وهما يسيران بتكاسل نحو المنزل.. وقالت

مايسي:

ـ شكراً لك على هذه الأمسية الجميلة روي، لقد تمتعت بالمسرحية.

وارتجفت قليلاً.. لا بد أن روي أحست بارتجافها وأجاب:

ـ وأنا كذلك.

توقف ليديرها نحوه كي يرى وجهها في ضوء القمر، ولف ذراعه الأخرى حولها:

ـ رائع أن تعودي مايسي.

وقبل أن تقول شيئاً انحنى يعانقها، وكان لعناقه طعم اللهفة.

كتمت أنفاسها وضحكت.. ثم تمتمت:

ـ أنا مسرورة لأنك اشتقت إلي.. هل لعناقك سبب محدد؟ هل هناك شيء خاطيء روي؟

ابتسم:

ـ يا إلهي.. لا! وهل يجب أن يكون هناك سبب؟ لكنني لا أستطيع أن أوافق على هذه الهدنة بينك وبين لانس.. لا تتصادقي كثيراً معه.. أتسمحين؟

احتجت:

ـ روي! لا تكن أحمقاً! لن يأخذ أحد مكانك أبداً.. وتعرف هذا!..

لامست خده مترددة، فضحك:

ـ لا بد أنني أغار. اعتدت عليكما تهاجمان بعضكما بالسكاكين، وأكون أنا الوسيط بينكما.. وأجد نفسي الآن عاطلاً عن العمل.

ابتسمت مرتاحة للمرح في صوته:

ـ لن يطول الوقت.. لا أرى أن هذا الهدوء سيستمر.. أيمكنك أن تراه؟

تبل طرف أنفها:

ـ لا.. في الواقع.. لكن.. العجائب لا تتوقف!

ـ المعجزات تحصل دائماً!

ـ قد يكون الهدوء الذي يسبق العاصفة!

ضحكت ثم صاحت منتصرة:

ـ دورة جيدة أخرى...

ـ فلنجفف التبن والشمس مشرقة!

ضحكت مايسي وعيناها تتراقصان.. مثل هذا الكلام المقفى المتبادل ككرة الطاولة كان عادة لهما في الصغر.

ـ استسلمت.. الوقت متأخر.. لا أستطيع التفكير.. ينقصني التمرين.. هذه هي المشكلة.

وارتجفت مجدداً.

ـ الأفضل أن تدخلي.. اعتني بنفسك مايسي.. سأتصل بك.

توقفت مايسي بباب البيت تراقبه وهو يعود أدراجه، ووجهها مفكر.. ما يدهش أكثر من تصرفه معها، هو إدراكها أنها لا تريد للهدنة بينها وبين لانس أن تنتهي.. فقد بدأت تعتاد على هذه الصداقة الجديدة، وتكره أي شيء قد يهددها. وهي تقفل الباب الأمامي، ظهر لانس في باب غرفة الجلوس، قائلاً لها:

ـ أتدخلين لتنضمي إلينا في تناول القهوة مايسي؟

تنحى لها ثم أكمل وهي تدخل:

ـ هذه دوللي وودز، زميلة لي. دوللي، تذكرين أنني ذكرت لك مايسي هيللر، ابنة خالتي.. التي قدمت بكل نبل للمساعدة؟

ابتسمت مايسي، دون إظهار دهشتها لاستخدامه وصف ابنة خالتي ولو برمشة عين، وتقدمت إلى الأمام تصافح اليد الممدودة.. كانت دوللي في حوالي الخامسة والثلاثين، ذات جسد جميل، في بذلة أنيقة، تبدو أنثوية أكثر من الصوت الأجش على الهاتف، وقالت:

ـ كيف حالك آنسة هيللر؟ من الرائع وجود وجه جميل تربطه مع

الصوت.

ردت مايسي بما يناسب وتقبلت فنجان القهوة من لانس.. وماها استخدامه لوصف ابنة خالتي إلى حالة ذعر غريبة.. فهو لم يدع يوماً القرابة بها.. فلماذا الآن؟

تركتهما مايسي حال أن تمكنت. كانت دوللي ستبقى ليلها هناك، وهي تمر بغرفة الضيوف تساءلت ما إذا كانت دوللي ستحتلها لوحدها، ثم هزت كتفيها بنفاد صبر وهي ترتقي ما تبقى من السلم إلى غرفتها.. ما شأنها هي بهذا؟ في الصباح، تأخرت مايسي، لتعطي أفضلية استخدام الحمام لدوللي أولاً.. حين نزلت أخيراً، وجدت آلين تخضع دوللي لاختبار الفئران البيضاء. وبدا أن دوللي تمر بالاختبار بنجاح، حتى أنها كانت تشجع أحد الفئران في أن يتسلق على ذراعها.. واضطرت مايسي أن تعض شفتها لتمنع نفسها من الضحك لمظهر خيبة الأمل على وجه آلين، وتُدم الفطور في غرفة الطعام، ومع خروج لانس يقود سيارته عبر الطريق الداخلية ودوللي تبتسم له، علق بريسكوت:

ـ هذه ثالث مرة تنام فيها هنا.. يبدو أنها تصبح المفضلة.

كانت قصة «فوكس أوف ذي روكس» تتقدم باضطراد، وهي ثاني مغامرة لبطلها «فوكس» وتمكنت مايسي من ترتيب وقتها بحيث تقضي قسماً منه تعمل على المخطوطة.. وصلتها رسالتان ذلك اليوم. واحدة من أمها، سألتها في آخر فقرة فيها ما إذا كانت على ما يرام وسعيدة؟ ووقفت مايسي بنافذة غرفة نومها والرسالة في يدها، تحدق إلى الخارج. أجل إنها على ما يرام.. وبالطبع سعيدة.. لكن هناك إحساس غريب مقلق.. وكأنما لأول مرة لم تكن متأكدة من نفسها ومن المستقبل.

كانت الرسالة الأخرى من دار النشر، بلايوود، تبلغ م. ن. ويرنر أن كتاب «كودنايم فوكس» سيكون في الواجهات في اليوم الثاني من شهر كانون الأول.. مرت قشعريرة ترقب مثيرة في جسدها وهي تقرأ هذا، ترى

في عين فكرها كتابها معروضاً في محلات بيع الكتب.

كان شهر تشرين الثاني، وهو شهر ممل عادة، في معظمه رطباً، رمادياً.

اشترت مايسي سيارة فولزواكن مستعملة بلون برتقالي مشرق، وكانت عائدة إلى المنزل من رحلة إلى آشويل لشراء المزيد من أوراق الطباعة، حين رأت آلين تلوّح بجنون من على بُعد نصف ميل من المنزل. وتوقفت فركضت آلين عبر الطريق، وأنزلت مايسي زجاج النافذة عندما أطلت آلين بوجهها المتلهف:

ـ رمى شخص ما كيساً في النهر مايسي.. تعالي وانظري إذا كان بالإمكان الحصول عليه.. قد يكون فيه أي شيء.. ألبس كذلك؟

نزلت مايسي من السيارة بسرعة.. وتأوهت لرؤيتها ساقي آلين المغطيتين بالوحل:

ـ آلين.. هل حاولت إخراجه بنفسك؟

هزت ابنة خالتها رأسها بعنف: لا.. صدقاً! تعالي.

سارتا متعثرتين عبر طريق عشبية وعرة تقود إلى النهر.. وقالت مايسي:

ـ سيقتلك لانس إذا عرف أنك كنت قرب هذا النهر اللعين!

ـ صدقاً مايسي.. كنت قد نزلت من باص المدرسة لتوي، وفي طريقي إلى البيت عبر الحقل لأنني أردت إلقاء نظرة على بيت الخراف القديم.. يقول السيد وينتغتون إن الخفافيش لا بد تعشش فيه، ولم يكن بعيداً عن المكان الذي وجدت فيه الخفاش الصغير. وما كدت أتسلق المرتفع الصغير حتى رأيت شاباً يرمي كيساً في النهر ويهرب راكضاً.. لم أستطع تجاهله!.. أيمكن لي؟

ـ كونك ما أنت، لا يمكنك أبداً تجاهله، آلين. أين هو؟

أشارت آلين نحو الجسر فوق النهر المرتفع: هناك.

بعد المطر، كان النهر يجري بسرعة.. كان نصف الكيس في الماء، عالقاً في جذع شجرة مكسور.. وقالت مايسي:

ـ فيه على الأرجح بعض الأقذار.

على الفور تحرك الكيس، ونصاعد من داخله صوت أنين.. همست آلين مرتعدة:

ـ إنه حيوان! أوه مايسي.. سيغرق!

وخطت بضع خطوات نحو النهر إلى أن أمسكتها مايسي قائلة بحزم:

ـ لا تتجرأي على عمل غبي!

نكرت قليلاً، ثم قالت:

ـ هاك.. أمسكي معطفي.

ـ ماذا ستفعلين؟

ونظرت آلين إلى ابنة خالتها وقلقها يتحول عن الكيس إليها.

ـ وأنا طفلة، كنت قادرة على النزول إلى قائمة الجسر حين كنا نذهب إلى الصيد. سترى ما إذا كنت لا زلت قادرة على هذا.

كانت تتكلم وهي تسير إلى منتصف الجسر، ثم تطل عن حافته.. وحذرتها آلين:

ـ إنه مبلل بسبب المطر، وهذا ما سيجعل أي شيء ينزلق من فوقه.

لكنها تأثرت بالطريقة الرابطة الجأش التي طوحت بها بنفسها من فوق حاجز الجسر. مالت إلى الأمام لترى أن مايسي وصلت إلى أسفل الدعامة وتقف دون وجل على حافة ضيقة من الإسمنت المسلح، فنادت:

ـ أيمكنك الوصول إليه؟

صاحت مايسي وصوتها يدوي:

ـ هناك حلقة حديدية مثبتة في الإسمنت.. وسأتمكن من التعلق بها.

ـ كوني حذرة..!

ركضت آلين إلى الضفة مجدداً تراقب مايسي بلهفة وهي تجرب إلقاء

وزنها على الغصن الذي يعلق الكيس فيه، متمسكة بحلقة المراكب..
وتمتمت لنفسها:
- أوه.. أرجوك لا تقعي مايسي!
وجمدت حين صاحت مايسي: سوف أحاول.
ومدت يدها إلى الكيس.. وانكسر الغصن وجرف معه ساق مايسي، لكن يدها كانت قد أمسكت بعنق الكيس.. وبجهد رجعت إلى مكانها فوق الافريز الضيق قبل أن تصيح منتصرة: لقد فعلتها.
استدارت بحذر وصاحت:
- إنه ثقيل جداً آلين.. وأشك أن أستطيع الصعود به دون مساعدة.
- انتظري لحظة.. سأربط حزامينا معاً.
وتدلى أمام مايسي حبل من حزامين وبسرعة ربطت طرفه حول الكيس والباقي حول خصرها، ثم صاحت مجدداً:
- أنا صاعدة الآن..
ونجحت بصعوبة وتسلقت حافة الجسر تشهق وتتمتم:
- لقد كبرت على مثل هذه الأمور.
هاجمت آلين الكيس بسكين صغيرة، بينما أخذت مايسي تمسح يديها وركبتيها بمنديل.. إلى أن صاحت آلين:
- إنه جرو كلب.. هل هو ميت؟
وضعت مايسي يدها على صدر الجرو:
- لا.. لكنه ليس بعيداً عن الموت.. لفيه بسعفي ولنأخذه إلى البيت.. كلما أسرعنا في تجفيفه وتدفئته كان أفضل.
نأوه بريسكوت بصوت مرتفع وهما تدخلان، وقالت آلين غاضبة:
- أوه لا تكن سخيفاً بريسكوت.. لم يكن بالإمكان تركه يغرق..
عندما لاحظت رعبه لحالة مايسي أضافت وهي تحس بالشك فجأة:
- لم يكن الأمر خطراً.. أليس كذلك مايسي؟ ماذا سيقول لانس؟

قال بريسكوت: سيقول الكثير.
قالت مايسي:
- بريسكوت.. كن لطيفاً وجد لنا صندوقاً وبطانية لهذا المتشرد المسكين.. وآلين، من الأفضل الاتصال بالسيد ريتنغتون واطلبي منه أن يأتي إلى هنا.. لا أعتقد أن الحليب الدافيء سيؤذيه.. أتظن هذا بريسكوت؟
تمتم بريسكوت:
- لديه قوائم ضخمة.. ربما سينمو ليصبح كلباً ذئبياً.
ضحكت مايسي وهي تجفف الحيوان بمنشفة.
- ابتهج بريسكوت، لا يمكنك محاربة القدر..
- عرفت أن شيئاً رهيباً سيحدث حين قرأت الطالع في أوراق الشاي هذا الصباح.. سأحب أن أكون موجوداً حين يراه الحاكم.
وصل البيطري بعد موعد عيادته المسائية وتفحص الجرو.. كان عمره ستة أشهر كما يعتقد، وينقصه الغذاء.. حين سأل ما إذا كانا ينويان الاحتفاظ به، كشر جوهان لآلين وكان قد وصل من الكلية وأبلغ بما حصل، ورد:
- أخشى أن يعتمد هذا على قول أخي.
خلال وجبة العشاء، أعلنت آلين أن اسم الكلب سيكون «كوميت».
جلسوا يشاهدون التلفزيون منتظرين بقلق عودة لانس.. ثم رد بريسكوت على الهاتف ودخل ليقول إن لانس سيتأخر.. ودخلت آلين المطبخ لتعطي قصعة حليب لكوميت ولحقت بها مايسي:
- سأنتظر وصول لانس وأخبره بأمر كوميت.
تهلل وجه آلين: أوه.. هل ستفعلين مايسي؟
نظرت إلى القصعة الفارغة:
- انظري، لقد تناولها بسرعة.. أليس كذلك؟ بدأ يبدو أفضل حالاً.

استحمت مايسي وارتدت البيجاما وفوقها الروب، وأخذت شراباً ساخناً إلى غرفة الجلوس ثم تكورت على مقعد لتشاهد التلفزيون.. لكنها استيقظت على صوت وضع لانس خطبة ثانية في الموقد وكان التلفزيون مطفئاً. نظرت ناعسة إلى الساعة لتجدها الواحدة إلا ربعاً، فتمتمت مبتسمة:

ـ مرحباً لانس.

ثم تذكرت سبب انتظارها له وجلست تدفع شعرها إلى الوراء عن وجهها. مسح لانس الغبار الذي علق بيديه من الحطب بمنديل.. وقال ببرود:

ـ يجب أن أقول لك إنني التقيت بالمخلوق الذي في المطبخ.. هل هذا المسخ لك أم لآلين حمراء؟

ـ آلين وجدته، لكن كان لي يد في هذا.. اسمه كوميت.. هل أحضّر لك ما تشربه؟ شاي؟

ـ تناولت القهوة لتوي.. شكراً.. كنت أشعر أنني سأحتاج إليها.. من الأفضل أن تخبريني ما حصل.

عند انتهاء القصة، بدا واضحاً أن لانس لم يتأثر بالمرح الذي حاولت مايسي وضعه في كلامها.. وجلس صامتاً للحظات قبل أن يقول:

ـ أنت تدركين مدى خطورة ما فعلت.. أليس كذلك؟ النهر في طوفان، وغرق فيه حتى الآن ولدان.. ولو وقعت فيه، لكنت واجهت صعوبة كبيرة.. وماذا كان لآلين أن تفعل؟ كانت ستقفز وراءك دون شك، وكنتما ستغرقان معاً! ظننت أنني قادر على الثقة بك لإبقاء آلين بعيدة عن المشاكل، ثم أجد أنك لا تستطيعين هذا لنفسك!

ـ أوه.. توقف عن هذا التوتر لانس! لم يكن الأمر خطيراً إلى هذه الدرجة.. ليس بنصف سوء بعض الأشياء التي كنا نفعلها.

رد ببرود:

ـ أكاد أشيب لدى تذكري إياها.. طوال حياتك كنت تقعين بتهور في المشاكل.. وكنت آمل أن تكوني قد اكتسبت بعض التعقل مع السنين. لكن يبدو أنني كنت مخطئاً!

لم تكن تتوقع منه مثل هذا الغضب، وهذا اللسان اللاذع والتعبير المشمئز.

ـ لا تكن سخيف التفكير لانس! ألن يتسنى لي العيش لتغفر لي ما صنعته بك في طفولتي؟ لا شيء أفعله يبدو لك مناسباً! أتظن أنني لم أكن أعرف بماذا أخاطر؟ لقد قيمت الموقف وقررت التنفيذ.. هل فكرت ماذا كان سيحدث لو لم أفعل؟ كانت آلين ستفعل هذا بنفسها.

التقطت أنفاسها قليلاً ثم تابعت بمرارة:

ـ ظننت أن بيننا تفاهماً أكثر من هذا، لكن يبدو أنني كنت مخطئة.

وقفت بحدة عن الكرسي غاضبة.. أبعدت شعرها عن عينيها ورمته بنظرة لاذعة:

ـ الأفضل أن أذهب.. إذا كان هذا رأيك بي، سأجد لك من تحل مكاني.. ثم أذهب.

خطت خطوتين قبل أن يمد لانس يده ليمنع تقدمها، كان وجهه شاحباً، وعيناه نصف مخبتين خلف رموشه المنخفضة.

ـ دعني أذهب لانس.. لا شيء نقوله لبعضنا!

ـ أظن أن لدينا ما نقول.. والهروب ليس الرد.. اهدأي واستمعي.

ردت غاضبة تقاوم لتتخلص:

ـ أهدأ؟ أليست هذه عادتك لانس؟ تنفرد بتعليقات لاذعة مهينة بطريقتك الباردة المتعالية، وكأنك قاضٍ لعين.. ثم تطلب مني أن أهدأ؟ أيمكن أن تتركني؟ اللعنة!

نظرت إليه وعيناها تقولان الكثير: أنت تؤلمني!

ـ إذن توقفي عن مقاومتي.

وشدها إليه ليضع ذراعه كرباط فولاذي خلف ظهرها . . وقع الكومينو من فوق كتفيها وهي مشدودة إليه . . وقال :

ـ أنا لا أرغب في تمثيلية مثيرة .

وقفت مايسي مسمّرة، ترد على نظرته الصارمة . . ثم تركها فجأة واستدار عنها . . فقالت بارتباك :

ـ شكراً لك .

وأخذت تدعك معصمها حيث حفرت أصابعه معالماً، وحدقت بغيظ إلى ظهره .

قال :

ـ لا بد تعرفين أن ليس من السهل أن أكون الوصي على فتاة شابة تكبر . . تلك الطفلة سببت لي كوابيس بعدد ما سببته أنت لي .

لمعت عيناها سخطاً :

ـ أنا؟ لم أكن يوماً من مسؤولياتك!

استدار يضحك بحدة، دون مرح :

ـ لا تثيري سخطي أكثر حمراء . . كنت الأكبر سناً وأنت مقيمة مع عائلتي . . ماذا كان من المتوقع أن أفعل؟ أتجاهلك؟

احترقت وجنتاها :

ـ لقد حاولت جهدك . .

اشتدت يداه بقبضتين مخيفتين وأصبحت أصابعه بيضاء .

ـ أنت محقة، لقد حاولت لكنك كنت مدمرة جداً بحيث اضطررت إلى أن أفعل شيئاً بك . . وهناك الكثير منك في آلين ولو مخففاً . . لكن بما يكفي قلبها ليحكم عقلها . .

ـ أما قلبك فلم يفعل هذا أبداً، كما أعتقد؟ أنت نظامي بشكل لعين جداً، لانس . . يجب أن تكون مسروراً لأن في عروق آلين دماء وليس ثلجاً . .

ـ دم يقودها إلى مواقف مستحيلة .

أحست مايسي بوخزة ندم ثم تذكرت أنه كان ساخطاً لأن آلين تشبهها، وتغلب الجرح على الندم .

قال :

ـ آلين تعرف أن من الممنوع عليها الاقتراب من النهر دون مرافقة شخص كبير . .

قاطعته بمرارة :

ـ آسفة لتخييب ظنك لانس . . أنا كبيرة كذلك، اللعنة عليك! كم يجب أن يكون عمري لتتوقف عن معاملتي وكأنني طفلة؟

ساد صمت ثقيل لا يقطعه سوى تكتكة الساعة الكبيرة على الجدار وقرقعة الحطب المشتعل بين حين وآخر . . كانت مايسي تحدق في وجه لانس، لتراه يتغير من التجهم إلى السخرية المرحة .

ـ أوه . . أعرف أنك لست طفلة .

وقبل أن تعرف ماذا يحدث، قبل أن تنطق بكلمة احتجاج، حطت يداه على كتفيها وشدها بخشونة بين ذراعيه .

واستدارت الدنيا رأساً على عقب . . ببطء شديد رنت صفعة راحة يدها على وجهه في الصمت المصدوم . . كانت ردة فعل من جهة مايسي ندمت لحظة فعلتها . . وكان يمكن أن تبكي حزناً .

قال ساخراً :

ـ هذا رد فعل أنثوي مثير منك حمراء . . لقد أثبت وجهة نظري بشكل يثير الإعجاب .

بعد صدمتها بواقع معانقته لها، وجدت نفسها تقول :

ـ اللعنة عليك لانس . . لماذا فعلت هذا؟

ـ أردت أن أزيل شكوكك . . . ما من أحد ينظر إليك الآن حمراء، يمكن أن يخطىء بأنك امرأة .

ابتعد عنها، يضع ذراعه فوق رف المدفئة، ناظراً إلى النار. . وقفت مايسي كالبلهاء. . مشوشة الفكر، وجهها أحمر لامع، وشدت الكوميتو حولها تربط الحزام بأصابع مرتجفة. وتابع لانس بلهجة ملؤها نفاد الصبر:

ـ سنتحدث في الغد حين تكون قد هدأنا قليلاً. . إذا كنت تريدين الرحيل حمراء، فهذا عائد لك.

ترحل. . ! بالطبع لا تريد أن ترحل! عم يتحدث هذا الأحمق؟

وقفت مترددة تبحث عن كلمات مناسبة، ثم سبقها لانس قائلاً بحدة:

ـ تصبحين على خير. . حمراء.

دون أن ترد، استدارت وتركته.

* * *

٤ ـ م . ن . ويرنر

سأل بريسكوت في الصباح التالي وهو يعود بصينية طعام لانس:

ـ هل فقدتم ألسنتكم جميعاً؟

أشار برأسه نحو آلين:

ـ الحاكم يريد أن يراك.

نظرت إلى كوميت نظرة اشتياق، وخرجت تجرجر قدميها.

بعد عشر دقائق عادت مقهورة حمراء الوجه، تبدو وكأنها كانت تبكي. . تطعت المطبخ إلى الباب تلتقط كوميت وتحتضنه.

سأل جوهان: ماذا قال؟

وجدت مايسي نفسها تفكر ساخطة، إذا كان لانس شرساً مع أخته فستدخل وتفجر رأسه!

رفعت آلين وجهها المتجهم:

ـ قال إن بإمكاننا الاحتفاظ به. . أليس هذا رائعاً؟

شخر بريسكوت ساخراً:

ـ أرجو أن تكوني عارفة بما تورطين نفسك به. . كيف أقنعت الحاكم؟

ردت آلين متسعة العينين:

ـ لم أفعل شيئاً. . سألني فقط ما الذي حدث بالأمس وقلت له. . ثم سألني ما إذا كنت أريد الاحتفاظ بكوميت، وقلت أجل أرجوك. قال إنني

أستطيع الاحتفاظ به، ووضع بضع شروط بدت لي معقولة.. ثم انفجرت باكية.

ابتسمت:

ـ أظن لانس كان قد قرر سلفاً.. ان أحتفظ به.. أعني.

وضعت الجرو من يدها، ونظرت بامتنان إلى ابنة خالتها.

ـ لا بد أنك أقنعته ليلة أمس، مايسي.. شكراً لك.. أنت حبيبة.

هزت مايسي رأسها وتمتمت: أشك في هذا.

بعد بضع دقائق، جلست مايسي تنهي فنجان الشاي الذي كانت تشربه وكلتا يديها حول الفنجان، وعلى وجهها نظرة تفكير.. نظر إليها بريسكوت بحدة وقال:

ـ لقد تشاجرتما.. صحيح؟

ردت بقلق متعبة:

ـ أوه.. أصمت بريسكوت.

وبدا لها المنزل كالسجن فأكملت فجأة: سأخرج.

تجاهلت حاجبيه المرفوعين واستخدمت الباب الخلفي كي لا تكون هناك إمكانية للقاء مع لانس. وسارت متوترة عبر الطريق الداخلي للمنزل حيث التقت بالسيدة دستي التي نادتها بحبور:

ـ خرجت مبكرة اليوم آنسة هيللر!

وأكملت المرأة تسأل: تبدين متوترة قليلاً عزيزتي..

ـ أنا بخير سيدة دستي شكراً..

ـ أنت على حق.

وتابعت كل منهما طريقها.

لقد هربت من البيت ومن لانس، لتفكر أنها توافق على وجهة نظر لانس.. فليس من السهل تربية آلين أو جوهان.. وبما أن آلين من النوع الذي يقع في المتاعب دائماً، فمن المفهوم إذن أن يكون لانس حساساً

جداً.

إذن، أين موقعها من هذا؟ واعترفت لنفسها أنها أصبحت معتادة على هذه العلاقة الجديدة بينها وبينه، وتتمتع بالتفاهم بينهما.. لذلك كانت صدمة لها أن تدرك أن هذا التفاهم مبني على أرض مهزوزة.. وآلمها إحساسها بالهجر والوحدة وهي تعرف أنها خسرت الأرض التي كسبتها لنوها، وكل هذا بسبب كلب مهزول الجسم.

إنها لم تأت إلى هنا للتفرج على المناظر.. لقد هربت لتفكر بذلك العناق الذي جرى ليلة أمس... لو أنها اضطرت أن تعيش الأمس مجدداً، فلسوف تفعل بالضبط الشيء عينه.. ما الذي تملك لانس بحق السماء ليعانقها هكذا؟ كانت لا تزال تشعر بيديه وذراعيه تشدانها إليه. كانت معانقته لها بغضب وقسوة نوع مدمر من العقاب.. وهو بكل تأكيد يستحق تلك اللطمة على وجهه.

صوت.. ربما اصطدام حصاة بحذائها، أو انكسار غصن صغير تحته، أو ربما حاسة سادسة جعلتها ترفع رأسها. كان لانس يقف يراقبها، يضع على وجهه قناعاً غامضاً. علقت مايسي بنظرته النافذة الثابتة.. ثم انتزعت نظرها بعيداً وهي تزم شفتيها بعناد.

قال لانس متحدثاً:

ـ أخبرني بريسكوت عن الجهة التي سرت بها، وأكدت السيدة دستي كلامه.. وفكرت أن تكوني هنا.

جلس على المقعد الخشبي الطويل تاركاً فراغاً بينهما.

جعلتها تلك الغصة البائسة التي استقرت في داخلها نتيجة لشجارهما تتحرك قليلاً، ثم أخذت نبضاتها المتسارعة تعود إلى هدوئها.

ـ أتساءل ما إذا كان الأولاد يستخدمون هذا المكان لذات الأهداف التي كنا نستخدمه لأجلها؟

كان صوتها تقليداً باهتاً للهجته الصارمة.

تحرك قليلاً ليستدير نحوها، يريح ذراعه على ظهر المقعد:

ـ أشك في هذا.. فهم هذه الأيام أكثر حنكة مما كنا.. لكنك لا تبدين كمن نامت كثيراً.. لقد نسيت كم أنت عاجزة بعد الشجار. كان يبدو لي من غير المعقول كم كنت تبقين بيضاء الوجه ذابلة لساعات بعد كل شجار، وأرى أنك لم تتغيري.

هزت مايسي كتفيها بغير اهتمام، واستدارت لتنظر إليه وجهاً لوجه.. وقالت:

ـ لديك قدرة تعيسة على جعلي أحس أنني عدت طفلة من جديد.

رد، وهو يتفرس بها مفكراً:

ـ آه.. هذا أمر مؤسف.. بخصوص ما حصل ليلة أمس، لقد أهنتك وألمحت إلى أن آلين ليست آمنة وهي في رعايتك.. وأنا آسف.. فلقي عليكما معاً هو الذي دفعني إلى مهاجمتك بشكل أخرق، فهل تسامحيني؟

صمت قليلاً ينتظر، ثم أضاف بخشونة:

ـ إذا كانت الكلمات عالقة، بإمكانك هز رأسك بالموافقة.

بدا ارتياحها كاندفاع الحياة في الأرض خلال الربيع.. بإمكانهما العودة إلى صداقتهما مجدداً!

ـ أفهم قلقك على آلين، وأنا آسفة لأنني صفعتك.

قال مقترباً منها فوق المقعد:

ـ لم أسمع هذا جيداً.. ماذا قلتِ حمراء؟

رفع يدها المكسوة قفازاً ووضعها تحت ذراعه.. فنظرت إليه بارتباك:

ـ قلت إنني آسفة لأنني ضربتك.

ـ هذا ما ظننت أنني سمعته، لكنني أردت أن أتأكد.. اعتذاران أفضل من واحد.. دائماً.

انفجرت ضاحكة وقالت مؤنبة:

ـ أنت مخادع لانس، سوف أسحب اعتذاراً منهما، إذا لم يكن الاثنين معاً!

ـ لن تستطيعي.. هذا غير مسموح..

استقرت عيناه على وجهها مفكراً.

ـ آسف للعناق.. كان طريقة مأساوية لإثبات وجهة نظري.. ولم يكن مرضياً لي أبداً..

انتزع قفازه من يده، ملامساً خدها. كانت أصابعه دافئة على بشرتها الباردة، ثم قرّب وجهه ليقبل خدها بنعومة.

ارتعشت رموش مايسي وتصاعد لون زهري رقيق إلى وجنتيها.. وضحك لانس بخبث:

ـ أذكر أنني عانقتك مرة وأنا.. أوه.. في حوالي الرابعة عشرة كما أعتقد، خلال حفلة عائلية، وفي لعبة تحدٍ، إذا لم تخني ذاكرتي ولقد صفعتني يومها كذلك. كان يجب أن أتذكر هذا ليلة أمس وأتراجع.

انفجرت فورة ضحك في حلق مايسي.. وخف التوتر في نفسها.. وأكمل لانس:

ـ أعتقد أنني يجب أن أكون ممتناً لأنك لم تركليني على عظم ساقي، وهذه عادة مبهجة من عاداتك.. قال لي بريسكوت إنك لم تتناولي الفطور.. وهناك طرد بريدي يجب أن آتي به من مركز البريد، لذا أقترح أن نُبعد أنفسنا عن هذا المقعد الخشبي غير المريح قبل أن نتجمد برداً.. السيارة متوقفة عند أسفل التل، سنتوقف لتناول الفطور في مطعم «موفات» ثم نذهب لنأتي بالطرد في طريق عودتنا.

وقف لانس يجذبها معه، وسارا معاً بخطوات سريعة نزولاً عن التل.

كانت مايسي ممتنة لذراعه التي تدعمها. لقد أمضت الليل كله تتقلب توبخ نفسها أولاً، ثم لانس على الأشياء التي قالاها لبعضهما.. أما الآن فكل شيء عاد على ما يرام مجدداً.

يقع محل «موفات» في شارع هاي سنربت ويقدم الخبز المصنوع يدوياً، الكايك والحلويات. فيه غرفة خلفية لوجبات الصباح. كان دافئاً في الداخل وحميماً. واختارا طاولة قرب الواجهة. وساد صمت وهما يأكلان.

على الأقل، أكلت مايسي. بينما أخذ لانس يراقبها وهو يشرب الشاي.. وصبت مايسي لنفسها كوباً آخر وقالت:

ـ طيبة قلب منك أنك تركت آلين تحتفظ بكومبت.. وأعتقد أنك طلبت الإذن من بريسكوت؟

ابتسم ولم ينكر.. دفع شبطان ما مايسي كي تكمل:

ـ يقول بريسكوت إنك بحاجة إلى زوجة.

ارتشفت من فنجانها، تتساءل إلى أي حد تستطيع أن تتمادى:

ـ وأنا أميل إلى الموافقة معه.

ـ هذا تفكير جيد منكما بمصلحتي.. يجب أن تضما جهودكما إلى جهود امرأة عمي أنجيلا.. ستكون مغتبطة لأنكما في صفها.

ـ سيحل هذا بضع مشاكل لك.. أليس كذلك؟

ـ لكن هذا ليس السبب الأفضل.. فإذا قررت أن أتخذ زوجة لي، فسأبلغكم بهذا جميعاً. حتى ذلك الوقت، سأكون ممتناً لو أبعدتم أنوفكم الحشرية!

ضحكت مايسي ومدت يدها تأخذ قطعة توست أخرى، ووقعت عين لانس على رسغها فصاح مقطباً للعلامات المطبوعة عليه:

ـ هل فعلت أنا هذا؟ إنني قذر متوحش!

ـ تظهر عليّ الكدمات بسهولة.. ولطالما كنت هكذا.

أجفلت قليلاً لسماع صوت يقول من فوقهما:

ـ لانس! مايسي! لم أتوقع وجودكما هنا!

دون استعجال، ترك لانس يد مايسي ووقف:

ـ عمتي أنجيلا.. هذه مفاجأة.. أتودين الانضمام إلينا؟

كانت أنجيلا بلايوود امرأة محافظة جداً ونظراتها دائماً تشوبها دلائل عدم الرضى. أصبح شعرها، الذي كان يوماً أشقر كشعر روي الآن أبيض.. وكانت تنظر إلى ابن أخ زوجها باستهجان، وإلى مايسي بارتياب وكراهية لا تكاد تخفيها.

كانت مايسي تعرف كراهيتها لها حتى وهي طفلة. وتعلمت أن تبتعد عن طريقها قدر المستطاع، مع نظرة من البراءة المتسعة العينين، تحاول بها صد أي اتهامات أو تحذير أو كائناً ما يكون يدور في خلد العمة.

رفضت أنجيلا الدعوة للشاي، وطافت عيناها بالطاولة ثم عادتا إلى لانس بتعبير من يطلب تفسيراً.. لكنه لم يكن ممن يهوّل عليه بسهولة، وخيب أملها بأن لم يقدم لها أي تفسير.. رافقها إلى طاولتها حيث قدمته إلى صديقة منتظرة، وهدأ من مشاعر العمة ببضع كلمات مختارة.

حين عاد، كانت مايسي قد أنهت كل التوست وشربت الشاي.. فوقف إلى جانبها، يميل إلى الأمام، ويد على الطاولة والأخرى على ظهر الكرسي، وتمتم:

ـ هل نذهب؟ سأدفع الفاتورة بينما تودعين العمة أنجيلا.

وابتسم لها بخبث.. كانت مايسي تحس بعيني العمة أنجيلا الثاقبتين كعيني النسر تنظران إليهما.. لكنها تمنعت عن الرد على تلك النظرة، وتقدمت إليها على مضض. قدمتها العمة إلى صديقتها على أنها ابنة أخت هيلاري، لكن أنجيلا، بالرغم من الأسئلة العديدة التي طرحتها، لم تسأل مايسي عن سبب وجودها هنا مع لانس، وهذا ما كانت مايسي ممتنة له فهي لم تكن قادرة على التفكير بتفسير واحد قد يبدو مقبولاً.

حين انضمت أخيراً إلى لانس، سألها وعيناه ترقصان خبثاً وهو يرفع ذراعه وداعاً لزوجة عمه.

ـ هل خرجت دون إصابات؟

وخرج معها من المحل إلى الشارع. فأجابت معترفة: بالكاد.

قال مسرعاً في خطواته:

ـ بإمكانك أخذ طردك من البريد بينما أستعيد سيارتي، فهي متوقفة قرب حدود التوقف المسموح.

سألت بدهشة: طردي؟

في مكتب البريد أعطيت طرداً بلفافة بنية، محوّلة عن العنوان الأصلي بخط يد ستيلا.. أخيراً أصبح كتاب «كودنايم فوكس» في حوزتها!

في غرفتها، فتحت اللفافة البنية لترى أمامها النسخات الخاصة بها.. كان الغلاف باللون الأحمر، براقاً وملفتاً للنظر، مع أحرف يابانية سوداء على الغلاف الأمامي بشكل خنجر.. مررت يدها فوقه تبتسم ببلاهة، وفتحت الغلاف تقلب الصفحات.

كان إحساسها لا يُصدق.. وكأنما شخص آخر كتبها! أعادت النسخات إلى المغلف الأسمر لتخبئها في أسفل الخزانة.

وصل شهر كانون الأول بطقس سيء وثلج متساقط.. بعد أسبوع من الصقيع القاسي تجمدت البحيرة وأخرجت مايسي الزلاجات من مخازنها، وجرت تجربة الثلج لاختبار سلامته.. كان جوهان وآلين يعيان أخطار البحيرات المتجمدة بعد سماعهما كيف كان روي ولانس على وشك فقدان حياتهما، حين انكسر الجليد وتشقق في إحدى السنوات.. وسألت آلين حين ذكرت القصة مرة أخرى وهم يتجهون إلى البحيرة:

ـ هل كنت معهما مايسي؟

هزت رأسها نفياً:

ـ لقد حدث هذا في الشتاء الذي سبق قدومي، ولم أكن مسؤولة عن كل حادثة وقعت لهما في الماضي جوهان!

ابتسم ابن خالتها وسأل ببراءة:

ـ أوه.. ألم تكوني مسؤولة؟

صاح روي ضاحكاً وكان يجلس في المقدمة مع لانس الذي كان يقود الفورد، والتفت لينتزع قبعة مايسي الصوفية.

ـ أرأيت تلك السمعة التي لك مايسي؟

كان بعد ظهر كله حنين. وأحست مايسي أنها عادت إلى السادسة عشرة من عمرها.

بدأ كتاب «فوكس فوق الصخور» ينطلق وحين سافر لانس في عمل له إلى أمستردام، كان لديها ثلاثة أيام راحة لتعمل عليه.

كان جوهان يشارك في دور مسرحي في الكلية، وذهبت مايسي مع آلين لمشاهدته، كان دوره أحد الأدوار الرئيسية.. فيما بعد وجدت مايسي نفسها تتحدث إلى مدرب المسرحية وأخبرته أنها رائعة، وأن جوهان فاجأها بإتقان دوره.. رد المدرب:

ـ شكراً لك.. أنا سعيد لأنك تمتعت بالمسرحية. لقد عمل الجميع بمشقة وقاموا بأفضل ما يمكنهم خاصة جوهان.. لديه موهبة، ابن خالتك هذا.. ويريد أن يتخذ التمثيل مهنة له.

ـ يأخذه مهنة؟ التمثيل؟

ـ أجل هذا ما كان يقوله في الأسبوع الماضي.

ابتسمت مايسي.

ـ.... إنها أول مرة أسمع فيها أن جوهان يريد امتهان التمثيل.

ـ العائلة في ميدان النشر.. أليس كذلك؟

ـ أحد فروعها فقط.. ومن المتوقع أن ينضم جوهان إلى المؤسسة العائلية.. شقيق جوهان الكبير محامي.

ـ قد تكون هذه مجرد مرحلة.. مع أنني لمعرفتي بجوهان، أشك في هذا. ها هو قد جاء الآن..

حيا جوهان وهنأه على أدائه مكملاً:

ـ أخشى أن أكون ذكرت اهتمامك المهني بالمسرح جوهان.. وأنا

آسف.

نظر جوهان إلى مايسي بسرعة وقال:

ـ لا بأس بهذا سيدي، لا أمانع في أن تعرف ابنة خالتي.

ابتسم المدرب ارتياحاً:

ـ عظيم.. الآن أعذراني، أعتقد أنني مطلوب.

هز رأسه بطريقة ودية وابتعد.

نظر جوهان بشيء من التحدي إلى مايسي: تعرفين الآن.

ـ ألهذا كنت كالدب الهائج في الأسابيع الماضية؟

ابتسم بخجل:

ـ لا أريد أن أخيب أمل لانس.

ـ حسناً.. لا أظنه بريدك أن تعمل في مهنة لا يرغبها قلبك.. وهو يعرف هذا تماماً.. أليس كذلك؟ هو أيضاً اختار الابتعاد.. ومن المؤسف أنه لم يرك اليوم. لقد كنت ممتازاً حقاً جوهان!

احمر وجهه سعادة:

ـ شكراً، أما بالنسبة للانس، سأنضم إلى مدرسة التمثيل في كانون الثاني وإذا قُبلت فسأقول له، لكن لا داعي لهذا لو رفضوني. لن تقولي له شيئاً.. أليس كذلك؟

ـ فقط لو وعدتني بعرض أفكارك أمام لانس.. ليست غلطته أنك تشعر بالارتباك والذنب، ولن يستطيع مساعدتك إذا لم تقل له.. أليس كذلك؟

ابتسم جوهان:

ـ أنا سعيد لأنك عرفت مايسي.

في الأمسية التالية رفعت آلين رأسها عن كتبها وقالت:

ـ سيكون لانس في البيت غداً.. أليس كذلك؟

أجابت مايسي تلعق اصبعاً وخزته بالإبرة: هل اشتقت إليه آلين؟

هزت آلين رأسها إيجاباً.

ـ أكره ابتعاده عنا.. لكنني لا أقول له هذا بالطبع، فما الفائدة؟

ابتسمت بحياء لابنة خالتها:

ـ رائع أن تكوني معنا مايسي.. لكن هذا لن يدوم.. أليس كذلك؟

وعاد رأسها مجدداً إلى كتبها.

تكرت مايسي أن المرء يكون ضعيفاً في سن الرابعة عشرة.. إنه عمر ما بين مرحلتين، ليس بالطفل ولا بالناضج.. وقت متأجج ما بين القلق والتردد، والكفاح للاستقلالية. فهل تسببت بالضرر بمجيئها إلى هنا؟ حين تغادر.. هل سيكون التغاير أكثر بروزاً؟

قالت بطريقة عفوية:

ـ أول يوم فراغ نحصل عليه، سنذهب إلى المدينة لنشتري لك فستاناً لحفلة العمة والعم «الباقونية» مه؟

هزت آلين رأسها بسعادة.

كانت ستيلا قد مضت قدماً بمساعيها «الزوجية» بأن دعت مايسي لتنضم إلى دون وإليها وزميل لدون، إلى حفلة عيد ميلادها، في دعوة للعشاء ثم الرقص.. وتمنعت مايسي ومع قليل من التشجيع، أخذ الصديق يضغط عليها لموعد لقاء آخر.. لكنها لم تستطع أن تزعج نفسها بالقبول، مع أنه لطيف.. لكن..

كانت مايسي قد تركت السيارة في محطة قطارات آشويل.. وهي تعود فيها إلى المنزل، تذكرت أن لانس سيعود اليوم ووجدت نفسها توافق مع آلين.. قد يكون مثيراً للسخط بعض الأحيان، لكن وجوده مطمئن للنفس.

وجدته جالساً متمدداً في مقعد أمام النار يقرأ، وكومبت مستلق عند إحدى قدميه.. أعدت إبريق شاي وجلسا بتفرجان على برنامج وثائقي عن اليابان، ثم أخبرته بأخبار العائلة بقدر ما تمكنت.

وهي تمد يدها إلى فنجانه لتملأه مجدداً، أوقعت الكتاب الذي كان يقرأه صدفة من على ذراع المقعد، فالتقطته وانقطع اعتذارها في منتصف الطريق عند مشاهدتها الغلاف.. وأحست بنفسها تحمر.

قال:

ـ هذا أحد كتبنا الأخيرة.. مررته لي روي لأقرأه، إنها محاولة أولى للكاتب.. هذا ما عرفته.

أعطته الكتاب وشغلت نفسها بصب الشاي وهي تسأل:

ـ هل تتمتع به؟

انتظرت متلهفة بألم وترقب، وكأنما تخشى الرد.. قال لانس:

ـ لا زلت في منتصفه.. إنه ليس من النوع الجاسوسي العادي، بل أن للشخصيات بعض العمق، أجل.. أنا أتمتع به.

أخذ منها الفنجان الذي قدمته له.

اجتاحها إحساس بسعادة غريبة وقالت:

ـ لم أكن أعتقد أنك تحب هذا النوع من الكتب لانس.

نظر إلى وجهها الممازح بائتزان، وأجاب:

ـ أحياناً يكون هذا النوع الوحيد الملائم للقراءة بعد يوم مرهق.. ذوقي في القراءة متنوع.. كل ما أطلبه أن يكون الكتاب جيداً، وهذا كتاب جيد. يمكنك استعارته بعدما أنتهي منه.. إذا رغبت.

ـ شكراً لك، سأكون راغبة.

نظر إلى الغلاف اللماع:

ـ روي يدعوه بالرجل الغامض.. م. ن. ويرنر وهو يرفض المجيء إلى المكتب ويبقي اتصالاته محصورة بالرسائل.. ويظن روي أنه موظف حكومي معروف يريد البقاء مجهولاً خوفاً من أن يهز المؤسسة التي يعمل فيها!

حذرت نفسها: لا مزيد من الأسئلة.. هذا يكفي.. وشربت شايها،

تحس بدوار لذيذ.. لقد أعجب لانس بكتابتها! واستقرت عيناها على يدي لانس الحاملتين للكتاب.. له يدان جميلتان.

ـ حمراء؟

انتبهت مجفلة، تقول ضاحكة:

ـ آسفة.. كنت أحلم.

ـ أسأل ما إذا كنت قد رأيت عمي وزوجته أو روي هذا الأسبوع؟

ـ تناولت الغداء مع روي يوم الأربعاء.. لكن بسرعة. كان مضطراً للعودة للمكتب لموعد له.

ووضعت فنجانها الفارغ على طاولة صغيرة.

ـ هل هناك سبب للسؤال؟ أظنهم جميعاً بخير.

ـ همم..؟ لا.. لا... لقد أقلني روي من المطار وتناولنا القهوة معاً.. كان على وشك لقاء والديه لوجبة طعام.. كانوا جميعاً سينضمون إلى أسرة كولنز كما قال لي.

قالت ممازحة، وهي تقف وتسمح لتئاؤبة أن تفلت منها:

ـ إنهم يقابلون أسرة كولنز كثيراً هذه الأيام.

قفز كوميت على قوائمه يهز ذنبه.

قال لانس:

ـ سأخرج الكلب في مشوار.

ـ حقاً؟ شكراً لك. لكن يجب أن تضع له الطوق فهو لا يعرف معنى الطاعة بعد.

نظر لانس إلى الكلب الذي انقلب الآن على ظهره، وقوائمه تلوح في الهواء، وقال:

ـ لقد اكتشفت هذا. فاللعين على ما يبدو يحب خفي.. ونحن على خصام حول ملكيته.

ضحكت مايسي:

ـ إنه ذكي . . وما يحاول أن يفعله هو أن يجيء به إليك .

ـ حقاً؟ أنت تفاجئيني بهذا مايسي . . ومن يعلمه أن يجيء بالصحيفة؟ هل لك أن تطلبي ممن يعلمه التوقف عن هذا، فأنا لا أستسيغ الطباعة المبللة الممضوغة .

ضحكت مايسي بشدة .

ـ أنت مفسد للمتعة لانس .

ـ انتظري إلى أن يعبث بشيء لك .

لحقت عينيه بها إلى الباب : حمراء . .

توقفت تدير له وجهاً متسائلاً . . فنظر إليها بعينين موجهتين، ثم هز رأسه قليلاً :

ـ لا يهم . . عمت مساء .

لكن عيناه بقيتا مثبتتين عليها لحظات قبل أن تعودا إلى الكتاب .

ـ عمت مساء لانس .

ألقت نظرة أخيرة على الرأس الأسود الشعر المنحني فوق الكتاب . . على النار المتأججة، على عيني كوميت اليراقتين المتطلعتين من خلف الكرسي . . وطبعت المنظر في عيني لكرها كي تتمكن من تذكره فيما بعد .

* * *

٥ ـ صدمة العمر

توقف مرجل الندفئة في مدرسة آلين عن العمل، وأقفلت المدرسة ثلاثة أيام لإصلاحه . وقالت مايسي لابنة خالتها عند سماعها هذا :

ـ عظيم . . سنذهب إلى المدينة لنشتري لك الفستان .

وعرض لانس إيصالهما .

خلال الرحلة التي جرت في سيارة الفورد، قالت آلين :

ـ هل أنت ذاهب إلى المحكمة اليوم لانس؟ أيمكن أن نأتي؟ لم أذهب إلى هناك منذ زمن طويل ولن يستغرق شراء الفستان اليوم كله . أليس كذلك مايسي؟ ألا تودين رؤية لانس في المحكمة؟

نظرت مايسي إليه :

ـ أجل . . أود هذا . . لطالما تساءلت كيف يبدو في روب المحاماة .

ـ يبدو مميزاً جداً .

ردت آلين متفاخرة . . فقال لانس :

ـ أنتما تمدحاني لكنني لا أضمن لكما جلسة درامية، فلدي دعوى تافهة وقد تجدانها مملة .

سألت آلين بخيبة أمل : ألن ترافع فيها؟

رد : سأقوم بحصة جيدة من الدفاع .

قالت آلين بحبور :

ـ هذا ما نريد أن نراه . .

مملة أم لا، كانت قاعة المحكمة ممتلئة. والقضية أكثر أهمية مما جعلهما لانس تظنان. وهو يدخل، نظر إليهما وابتسم قليلاً. استدارت آلين إلى مايسي قائلة هامسة:

ـ كل صديقاتي يحببن لانس بجنون.. يعتقدن أنه فاتن الجمال.

حبست الفتاتان أنفاسهما بينما وقف لانس على قدميه ليستجوب الرجلين الآخرين في القضية، شركاء مولكه.. وراقبتا الرجلين تأسرهما طريقة لانس الهادئة الواثقة في الاستجواب، ليقعا أخيراً في الفخ الذي نصبه لهما.. وهو يستدير عنهما مكتفياً، ارتفع رأسه إلى الفتاتين، وتحركت عينه اليسرى في غمزة سريعة قبل أن يحني رأسه ليكلم زميلاً له..

حين رفعت الجلسة للغداء التقوا كما هو مخطط في الردهة المليئة بالناس.. تقدم لانس نحوهما وأوراقه تحت ذراعه ثم قال بأسف:

ـ أنا آسف، كنت آمل أن أتناول الغداء معكما، لكن شيئاً ما حدث، يجب الاهتمام به قبل انعقاد الجلسة مجدداً.

تحركت عيناه إلى ما ورائهما ونادى: لن أتأخر.

والتفتت الفتاتان آلياً، لتريا دوللي وودز بثياب المحاماة تحمل ملفاً، وابتسمت بانتظار انضمام لانس إليها.

قالت مايسي بخشونة: نحن نفهمك تماماً.

واتفقوا على اللقاء في مكتب لانس.

حين نزل آلين وجوهان السلم أمسية حفلة «الذكرى الباقوتية» نظرت مايسي إليهما وقررت بفخر أنهما رائعان.. كان جوهان في بذلة رسمية وبدا ناضجاً جداً. وأحست مايسي بوخزة صدمة وهو يتقدم منها.. فمن الصعب التصديق بأن هذا الشاب الوسيم الطلعة، هو ذلك الطفل الأحمر الباكي الذي كانت تحمله بعد بضع ساعات من مولده! أين ذهبت كل هذه السنين؟ ماذا فعلت بها؟

وتهادت آلين لتنزل السلم تلحق بأخيها، محاولة الظهور أنها محنكة، إلى أن أصبح الأمر صعباً عليها فانفجرت بالضحك في منتصف الطريق..

كان الفستان الذي اختارته مع مايسي من «التافتا» الحريري بلون أزرق فاتم وعنق مستطيل مع حزام خصر عريض.

سألت آلين لانس: حسناً؟ هل ننفع؟

ردت بصوت دافىء:

ـ بكل تأكيد.. كلاكما.. وهذا ما يعطيني الأمل بأن تبلغا سن الرشد وأرتاح منكما.

أعلن جوهان متحدياً:

ـ سأبلغ هذا السن مع العام الجديد، أعني سن الرشد.

ونظر نظرة اعتذار إلى مايسي.

قال لانس مهدئاً: هذا صحيح.

تدخلت آلين نافدة الصبر:

ـ أظن سن الواحدة والعشرين سن متعقل أكثر.. ثم أنت لم تقل شيئاً عن مايسي، لانس! ألا تظنها تبدو فاتنة؟ الفستان من نيويورك من «فيفث اڤينيو».

جمدت مايسي تحس فجأة وكأنها معروضة للفرجة.. أطلقت نحو لانس نظرة سريعة لتجد نفسها مأسورة في نظرة تقييم طويلة متكاسلة.. أخيراً تمتم:

ـ العمة أنجيلا ستحبه.

ومرر إصبعه على ظهرها:

ـ أنيق جداً، مثير جداً.

ـ شكراً لك.. ولم أكن أفكر بالعمة أنجيلا حين اشتريته!

ضحك:

ـ لا.. هذا ما ظننته..

لقد اختارته لهذه الليلة على أمل إزعاج العمة أنجيلا، ولانس يعرف هذا.

قال يمسك بمعطف الفرو الأبيض، لتتمكن من دس يديها في الكمين:

ـ حسناً.. أعتقد أن من الأفضل حجز الرقصة الكبيرة منذ الآن.

لامس حرير البطانة بشرتها فأحست بالقشعريرة تسري في داخلها. بدا أنها تحس بوجود لانس يقف خلفها، ويداه على كتفيها وهو يسوّي المعطف حولها، بشكل لا يصدق. لم يستغرق الأمر كله سوى بضع ثوانٍ.. لكن الحركة كلها بدت بطيئة، بينما تجمد جوهان وآلين ضمن إطار لوحة، وحدها ولانس كانا حيين.

كسرت آلين الصورة الوهمية:

ـ إنه فستان حلم، مايسي.

استدارت إلى أخيها الأكبر:

ـ أوه.. لانس.. رائع أن تكون مايسي هنا معنا.. وسنكره ساعة تتركنا!

رد لانس وهو يساعد أخته بمعطفها:

ـ موافق معك تماماً آلين، حبي.. لكن لا نستطيع توقع بقائها معنا طويلاً، تعرفين أنها متململة لا تهدأ.

ثم مرت عيناه على كل منهم واحداً واحداً وقال بلهجة غريبة:

ـ لا أظن أننا يجب أن نخذل العمة أنجيلا.

ضحك جوهان:

ـ عمتي المسكينة ليس لها ثقة بنا.. أليس كذلك؟

قال لانس بجفاء:

ـ هذه ليلة مهمة لها لذا سنكون جميعاً بأفضل تصرف.. همم؟

قالت آلين برهبة:

ـ أربعون سنة زواج! مسكين العم دايفد!

ثم رأت نظرة أخيها الموبخة، فصفقت يدها على فمها: آسفة.

قال لانس آمراً:

ـ إلى الخارج أيتها السيدة الشابة.

وهي تمر مع شقيقها أمامه، نظر إلى مايسي نظرة ضاحكة وهي تتجاوزه.

كانت الفورد متوقفة على استعداد، والثلج مجروف من طريقها.

سأل لانس:

ـ أتحب أن تقود جوهان؟

رمى المفاتيح إلى أخيه الذي التقطها بكل سرور.. جلست مايسي في المقعد الخلفي مع آلين، تصغي بنصف انتباه إلى الحديث الدائر حولها.. أحست أنها مقيدة، متوترة، وكأن الليلة هي الأكثر أهمية.. كان لديها أحاسيس متناقضة.. فدايفد وروي لم يعتبراها يوماً سوى فرد من أسرة بلايوود، لكن أنجيلا كانت دائماً تجعلها تعي صلتها الضعيفة بهم. التفت لانس من فوق كتفه يسأل:

ـ أكل شيء على ما يرام حمراء؟ أنت هادئة جداً.

ردت بما هو مناسب، ثم ظهرت أنوار الفندق عبر الأشجار ودخل جوهان إلى موقف السيارات.

كانت أنجيلا ودايفد بلايوود يستقبلان المدعوين عند مدخل قاعة الرقص الكبرى التي استأجراها لعيد زواجهما الأربعيني (الياقوتي) وتقدم دايفد إليهم بوجه متهلل والسعادة في عينيه.. انحنى يقبل الفتاتين:

ـ مايسي، آلين، عزيزتاي.. تبدوان رائعتين.

دايفد رجل طويل القامة، بشعر أشيب متراجع إلى الوراء، وعيناه بنيتان لطيفتان في وجه نحيل غائر.. والتفت يصافح ابني أخيه:

ـ جوهان، لانس، مسرور بمجيئكما.

أدار رأسه ينادي:

- أنجيلا! وصلت العائلة.

كانت أنجيلا تتحدث إلى أحد المدعوين وانضمت إلى زوجها، سمحت للأخوين بملامسة خدها وشكرت لانس للهدية المشتركة المؤلفة من طاقم كؤوس كريستالية.. ثم تجاوزتهما بنظرها لتستقر عيناها على مايسي.

كانت تعتبر أن لهذه الغريبة البعيدة تأثير سيء على روي في صغرهما، ولفترة ما كانت تخشى أن تصبح مايسي «كنتها» ولحسن الحظ عاد روي إلى تعقله ولم ينتج شيء عن علاقتهما.. مع أن الخطر لا زال موجوداً كما كان دائماً.. فقد يخضع روي إلى جاذبية الفتاة التي لا سبيل لإنكارها كما قيل لها، مع أنها لا ترى فيها أية جاذبية.

همست آلين لمايسي:

- زوجة عمي مبالغة في التأنق قليلاً.. ألا تظنين هذا؟ تبدو كأنها زينة مناسبة لشجرة الميلاد!

قالت مايسي آمرة تقاوم كي لا تبتسم: هس! تأدبي!

ودخلتا قاعة الرقص.

تقدم روي بقول بدهشة وإعجاب:

- لا يمكن.. هذا مستحيل.. لكن بلى..! الآنسة آلين بلابوود شخصياً!

أمسك بها بذيرها صائحاً:

- رائع جداً.. رائع جداً! ستكون لي الرقصة الأولى معك آلين حلوتي..

استدارت عيناه نحو مايسي، وصفّر بصوت ناعم:

- تبدين مذهلة آنسة هيلار.

أحنت رأسها برشاقة ترد:

- شكراً لك سيد بلابوود.. وأنت تبدو رائعاً كذلك.

ووقفا ينظران بابتسام إلى بعضهما.

اعتذرت آلين وذهبت لتنضم إلى صديقة، وقال روي بجدية:

- أريد الحديث معك مايسي.. وفري لي رقصة بعد الطعام، أيمكن؟

قبل أن ترد تقدمت روزلين كولنز في فستان واسع من «الشوفين» تبدو فيه جميلة جداً، لتدس يدها في ذراع روي وتبتسم:

- مرحباً مايسي.. جميل أن أراك.. روي تعال! أريد أن تلتقي..

وقادته بعيداً وهو يضحك من فوق كتفه معتذراً، وأطبقت يد على ذراع مايسي تقودها إلى مكان بعيد في القاعة، لتقف بها عند طاولة قرب حافة حلبة الرقص.

أعطاها لانس كوب عصير وعيناه تطوفان في القاعة:

- أظن أننا سنحتاج إلى دعم، لقد لمحت لتوي عمتنا الكبرى لوسيندا.. ويا إلهي، أليس هذا العم ميردوك!

تجاهل ضحك مايسي وتابع النظر إلى المتقدمين ببرود متحفظ والتسلية في عينيه وتابع:

- يا له من جمع.. الثروة والوجاهة يجتمعان مع الأقارب الذين لا نراهم سوى في الجنازات والأعراس.

في أقصى زاوية قاعة الرقص، بدأت فرقة موسيقية صغيرة تعزف لحناً شعبياً وجاء جوهان يطلب من مايسي أن ترقص معه قائلاً وهو يضحك:

- سأمرن أطرافي معك أولاً مايسي.

ردت: هذا شرف لي.

وخطت إلى الحلبة، لا تعي موجة الاهتمام التي كانت تزرعها بين الضيوف.

كان الرقص مزيجاً ما بين القديم والحديث.. وسرعان ما تلاقى جوهان وآلين مع شبان وشابات من الضيوف والأقارب.. كانت مايسي

تعرف الكثير من المدعوين هناك وتجولت بينهم تتحدث، تتلقى آخر الأخبار، وتؤخذ باستمرار إلى الرقص.. كانت تعي وجود روي في كل مكان بصفته ابن صاحبي الحفل، يرقص بحيوية لافتة للنظر، يتكلم بجدية مع زملاء عمل له.. وهو يمر بمايسي خلال إحدى الرقصات همس:

ـ رقصتنا بعد العشاء!

لمحت لانس يجول منكاسلاً في القاعة، يتوقف ليتحدث وعيناه تستوعبان كل شيء في المكان. ودخل حلبة الرقص أكثر من مرة مع آلين، وبدا أن روزلين لا تخلو أبداً من شريك.. كانت في مزاج ناشط، وكل شيء حولها متألق.. ولدهشة مايسي انزوى بها لورنس كولينز ليعرضها إلى استجواب دقيق عن حياتها وتوقعاتها بجرأة وجدت من الصعب التعامل معها.. وكانت مسرورة لانضمام لانس إليهما، وتحول الكلام إلى العموميات.. وسرها مراقبة اللياقة والمهارة اللتان عامل بهما لانس الرجل المسن..!

أعلن العشاء، وعادت مايسي وآلين إلى طاولة العائلة، وجرى تناول الطعام وسط المرح والمزاح العائلي.. ووقف لورنس كولينز يهنىء دايفد وأنجيلا ثم رد دايفد شاكراً باختصار.

بانتهاء العشاء، عادت الفرقة الموسيقية إلى عزف «الفالس».. تذكرت أوامر روي، ونفشت عنه، ولمحت شعره الأشقر بالقرب من شعر روزلين الأسود، نهزت كتفيها دونما اكتراث.. وقبل أن تتحرك تقدم لانس يقول بحزم:

ـ لا أظن أننا سنترك الأمسية تمضي دون رقصة معاً.. أليس كذلك حمراء؟ هذا النغم يتناسب أكثر مع سنواتي المتقدمة.

نظر إلى عينيها ساخراً:

ـ أتذكر أنني تعرضت إلى إصابات في أصابع قدمي يوم كنت تتعلمين الخطوات.

ردت متحدية:

ـ إذن شجاعة منك أن تطلب مني الرقص الآن.

ـ حسناً.. كنت أراقبك عن كثب خلال الأمسية، ووجدتك قد تحسنت كثيراً.

انفجرت ضاحكة:

ـ متوحش! لأجل هذا يجب أن أرفض!

ـ لكنك لن ترفضي.

علق الضحك في حلقها، وكتمت أنفاسها تحس بالخوف.. سمعت رنة صوته المثيرة اللطيفة، ورأت لمعان الضحكة الماكر في عينيه، والقلب العالم رأساً على عقب..

لا.. بالطبع لن ترفض! ألم تكن تنتظر وتنتظر آملة أن يطلب منها الرقص طوال الأمسية؟ ونفت مايسي غافلة عن الموسيقى وضجيج الراقصين، تنظر إلى هذا الرجل الذي عرفته طوال حياتها تقريباً. حدقت به وصدمها ارتباك داخلي لا يصدق.. مذهل، حتى أنها فقدت النطق، تحاول بجهد التعامل مع الحقيقة وتقبلها.

أعاد السؤال:

ـ لن ترفضي.. أليس كذلك؟

دون مقاومة أخذها إلى الرقص.

ـ فكري فقط أية ضربة ستسددينها إلى غروري لو رفضت!

أرسل الارتباك المكهرب الذي سرى في جسدها وهو يمسك يدها في نفسها ذعراً أعمى، وتركته يشدها إليه أكثر.. فهي أكثر عجزاً من أن تمنعه.. وأجفلت لالتفاف يده حول خصرها.

لانس..! بالتأكيد لا يمكن أن تكون حمقاء إلى هذا الحد؟ بعد كل هذه السنوات.. بالتأكيد لا يمكن أن يكون لانس! أغمضت عينيها، تقاوم لتفكر..

تنفست رائحة الرجولة فيه . . تحس بقماش بذلته تحت راحة يدها . . بأنفاسه الدافئة . . بجسده يتناسق بتناسب غير عادي معها .

قصرت خطواتهما مع تزايد عدد الراقصين . هل تتخيل هذا الإحساس المذهل بالانتماء؟ حركت رأسها بحذر تنظر إلى وجهه فلاحظ الحركة وابتسم لها، لكنه لم يكسر الصمت بينهما . ردت الابتسامة، لكن وجهها كان متصلباً .

أبعدت عينيها عنه وتأوهت بصمت، تشد أسنانها . . كيف يمكن أن يكون لانس . . من بين كل الناس؟ لانس الذي كرهته لسنوات؟ . . حاربت ضحكة هددت أن تنفجر من حلقها . . كم كانت حمقاء مسكينة! يا لها من حمقاء، عمياء، بلهاء!

فيما بعد، كان من الصعب وضع ما حدث تالياً في ترتيب صحيح . . فقد تلاشت الموسيقى وتوقفت مع خطواتهما، وتركها لانس لتتنفس مايسي منتهدة ارتياحاً . . كانت عظامها تتألم بجهد محاولة الاسترخاء . . تعالى تصفيق مبعثر من الراقصين، فجمعت كل ما لديها من المحافظة على النفس وقالت بصوت مشرق :

ـ شكراً لك لانس .

لكنها تلقت نظرة حادة مستقرة رداً . . كيف تبدو بحق السماء لتجعله ينظر إليها هكذا؟ ووجهت نظرها بائسة إلى مكان آخر . . في أحد أتسام حلبة الرقص أخذ الراقصون يبتعدون ليبرز روزلين وروي وهما يدفعان نحو المنصة .

سمعت مايسي لانس يتمتم لاعناً . . ثم بدأ يشق طريقه عبر الراقصين الناظرين جميعاً نحو الهرج والمرج آخذاً مايسي معه . وهي تنظر من فوق كتفها إلى الخلف، رأت روي وهو يرفع يديه طلباً للصمت .

توقفت نقاوم شد لانس لها، فانتظر إلى جانبها . . مع ذلك لم تفهم بعد ولماذا تفهم؟ فهناك شيء أكثر أهمية حدث لها، ولا تستطيع أن تفهم

أي شيء آخر بوضوح .

صعد روي المنصة، يساعد روزلين لتصعد معه . . وقال شيئاً لقائد الأوركسترا الذي ابتسم وأشار إلى المذياع .

بدأ روي القول :

ـ سيداتي سادتي . . أصدقاء وأقرباء . . أظنكم جميعاً خمنتم ماذا سأقول . .

انفجر الضحك وابتسم روي لروزلين . كانت مايسي تفكر : الآن، يجب حقاً أن أغادر بريدون هاوس . . لا أستطيع الاستمرار في العيش هناك ورؤية لانس كل يوم، وأحاول التصرف بشكل طبيعي . . لا شيء سيعود إلى طبيعته بعد الآن . .

كان روي يقول :

ـ لم نكن سنعلن شيئاً هذا المساء . . فنحن نشعر أنه يوم مخصص لأمي وأبي، لكنهما أعطيانا بركتهما ومع تمنياتكم لنا بالخير، لم نستطع الصمود .

تصاعد المزيد من الضحك والهتاف . . وأخذ لانس ذراع مايسي بقوة إلى طاولتهما وأجبرها على الجلوس . . وأطاعت ضغط يده تنظر إليه دون أن تراه .

أكمل روي :

ـ كما لا بد خمنتم . . لقد شرفتني روزلين بالوعد أن تصبح زوجتي .

رفع يدها إلى فمه وسط الهتاف والتصفيق وصعد لورنس إلى المنصة لينضم إلى والدي روي، دايفد المبتسم سعادة، وأنجيلا المبتسمة انتصاراً . وقبل ابنته وصافح روي قبل أن يلتفت إلى بقية المدعوين .

ـ هذا تحالف بين أسرتينا نسعد لرؤيته، أنا واثق أنكم جميعاً ستنضمون إلينا في التمني لهما بكل السعادة في مستقبلهما معاً . . سيداتي سادتي . . تحية لروزلين وغريغوري .

رفع لانس يدي مايسي وأجبرها أن تصفق مع المصفقين .

٦ ـ ثق بي!

صاحت آلين وهم يتجهون في طريق العودة إلى المنزل:

ـ حسناً! روزلين وروي! من كان يفكر بهذا؟ أكنت تعرف بما يجري لانس؟

ـ كان لدي فكرة.

نظر إلى الخلف عبر المرآة لتقع عيناه على عيني مايسي، فأشاحت نظرها عنه.

قال جوهان:

ـ أمر متسرع قليلاً، أليس كذلك؟

أجاب لانس بصوت متسل:

ـ بعض الناس يقررون خلال دقائق.

سألت آلين مجدداً: لماذا لم تخبرنا؟

ـ يا ابنتي العزيزة.. ماذا كان هناك لأقول؟ هل أقول إنهما كانا يريان بعضهما كثيراً في الأسابيع الماضية، وإن زوجة عمك وعمك كانا يدعوان أسرة كولينز إلى الطعام دائماً؟

ـ ولماذا غريغوري؟ لطالما كان روي.. هل سنجعل الجميع ينادونه غريغوري.. أتظن هذا؟

رد لانس بهدوء:

ـ لست أدري.. لكنني أشك في هذا. كانت الليلة تميل إلى

الرسميات.. أليس كذلك؟ على أي حال سيبقى دائماً «روي» لنا.

تثاءب جوهان:

ـ طبعاً سيبقى.. لم تكن حفلة سيئة على أي حال.

وافقت آلين، وقد عداها تثاؤبه:

ـ الطعام جيد.

ووضعت رأسها على كتف مايسي مكملة بصوت ناعس:

ـ هل تمتعت بالحفلة مايسي؟

تمتمت مايسي:

ـ أجل.. لا تنامي الآن.. ستشعرين بالتعب لو نمت. ثم إننا نقترب من المنزل.

المنزل.. البيت.. لكن ليس لوقت طويل. ارتدت عيناها إلى لانس الجالس وراء المقود، صامتاً مقطباً ينظر إلى الطريق أمامه.. كان طوال السهرة حامياً لها لا يترك جانبها، ولم تدرك لماذا إلى أن قالت العمة الكبيرة لوسيندا: تركت روي يفلت من بين أصابعك، هه، أيتها الفتاة السخيفة؟ لا يمكنك الاحتفاظ بهم إلى الأبد وتعرفين هذا!

لم تكن تهتم بما تفكره لوسيندا أو أي شخص آخر. لكن لانس كان مختلفاً.. يهمها جداً أن لا يكوّن الانطباع الخاطىء عنها وعن روي.

لم يكن القدر منصفاً لها.. فقد سدد لها ضربتين خلال دقيقتين.. كان يكفيها أن تدرك عاجزة تورطها مع لانس.. دون أمل.. من دون أن تُحرم من حليفها الوحيد روي.. فلن يعود أي شيء كما كان مرة أخرى مع روي، ومن بين كل الآلام التي تجتاحها بسبب لانس، كان هناك جرح يؤلمها أن روي لم يثق بها ويسرّ لها بما سيفعل.. لكن حتى هذا من الممكن أن لا يكون منطقياً، فهي لم تستطع أن تخبره عن لانس ولو لإنقاذ نفسها!

ضحكت آلين: استيقظي مايسي!

وفتحت مايسي عينيها.. تقول:

ـ لم أكن نائمة.

أوقف لانس السيارة أمام الباب الأمامي ثم أكمل طريقه ليضع السيارة في الكاراج.. وتثاءبت آلين مجدداً:

ـ أوه.. يا إلهي.. كم أنا متعبة.

وتهاوت على سياج السلم متثائبة بصوت مرتفع مرة أخرى:

ـ شكراً لك لاختيارك هذا الفستان الرائع لي مايسي.. تصبحين على خير.

قال جوهان يلحق بها إلى الأعلى:

ـ لقد ترك بريسكوت مذكرة.. لقد أخرج كوميت.

قال مايسي ولانس الذي انضم إليها الآن، تصبحان على خير، كل بدوره. ثم سألها لانس:

ـ أتشربين شيئاً حمراء؟

وتقدم إلى طاولة قريبة، ليصب لنفسه فنجان قهوة جاهزة من الغلاية الكهربائية.. وقالت مايسي:

ـ لا.. شكراً.

وتقدمت إلى النار التي لا تزال مشتعلة الجمر والحطب.. ركعت على ركبتيها وخلعت حذاءها، تحرك أصابعها ممتنة. راقبت لانس يتقدم إلى جهاز التسجيل وينتقي شريطاً يديره. مع بدء نغمات الغيتار الكلاسيكية، أدارت وجهها عنه لا تريد أن يضبطها تراقبه.. انتزعت أمشاط التثبيت من شعرها، تضعها واحداً واحداً في حجرها، ثم هزت رأسها ومررت أصابعها في خصلاته.

فجأة، وعت جمود لانس، فرفعت رأسها لتجده ينظر إليها، وبدا جهه قاتماً متجهماً.

قالت بهدوء:

ـ لانس.. لماذا لم تخبرني عن روزلين وروي؟

ارتشف قليلاً من قهوته وجلس على مقعد.

ـ ظننت أنني أوضحت لك في السيارة.

أخذت الأمشاط في راحة يدها، ثم وضعتها في حقيبة المساء، تقفل السحاب بتركيز. اندفع شعرها إلى الأمام، فأرجعته إلى الخلف بنفاد صبر وعيناها تنظران إليه بثبات:

ـ لقد شرحت لماذا لم تذكر الأمر لآلين وجوهان.. أما أنا فأمري مختلف.. بالتأكيد؟

ساد صمت، لوى معه لانس شفتيه مفكراً ثم قال:

ـ الوقت متأخر جداً حمراء.. لماذا لا تذهبين لتنامي.. هه؟ غداً..

ـ غداً لن يتغير شيء.. ولن أنام. لماذا لم تقل لي؟

نظر إلى قهوته.

ـ فكرت.. إذا كان لأحد أن يخبرك، فبالضرورة يجب أن يكون روي بنفسه.

ردت بنفاد صبر:

ـ طبعاً يجب عليه هذا.. لكنه روي.. أليس كذلك؟ كان ينوي القول لنا معاً، أنا واثقة.. لكنه علق بسرعة.. وهذا ما يفسر تصرفه.. لكنه لا يفسر تصرفك.. لقد أبقيت شكوكك لنفسك وأردت أن تكون موجوداً لالتقاط أشلائي المبعثرة التي لم يكن لها وجود.. وهو لطف منك، لكن لا ضرورة له، شكراً على أي حال.

حين لم يرد، ارتفع ذقنها ولوّن الدم الزهري الشاحب خديها، وقالت متحدية:

ـ أنت لا تصدقني.. أليس كذلك لانس.

قال بصوت ضجر: وهل هذا مهم؟

ـ بالطبع مهم! لا شيء مزعج مثل نظرات الإشفاق حين تكون دون

أساس أبداً . . وهذا ما كانت عليه هذه الليلة . . بدا أن الجميع يعتقد . .

ناومت لتتذكر الكلمة المناسبة :

ـ . . . أن روي . .

وضحكت ضحكة قصيرة :

ـ . . قد نبذني . . حسناً . . إنه لم يفعل .

لكن كشفها لم يؤثر عليه كثيراً وبدأ السخط يتملكها . . فجأة قال لانس :

ـ لماذا تقولين لي كل هذا . . حمراء؟

ـ ماذا؟

ـ لست مضطرة لتبرير نفسك لي . . فما الذي يكدرك؟

ابتلعت ريقها تقول بضعف ، ولون وجهها يزداد عمقاً :

ـ لا أريدك أن تشعر بالأسف عليّ . .

ـ أعترف أنني كنت قلقاً . . لكن إذا كان هذا سيريحك . . سأصدق كلامك .

وأسند رأسه إلى ظهر الكرسي ، يصغي مغمض العينين إلى الموسيقى الكلاسيكية .

ضمت مابين شفتيها ثم انفجرت :

ـ لكن الأدلة ضد هذا كثيرة . . أليس كذلك؟ أنت لا تأخذ أحداً أبداً على محمل الثقة ، لانس؟ ألا يمكنك التوقف عن أن تكون محامياً ولو لمرة واحدة؟

لتح عينيه ورفع رأسه ليلتقي نظرتها الساخطة :

ـ أجد صعوبة في تجاهل الوقائع .

ـ وقائع؟ أية وقائع؟

ـ كانت ردة فعلك للخطوبة مأساوية .

ـ أجل . . لكنني . .

صمتت قليلاً : سآخذ بعض القهوة .

وقفت تتقدم إلى الطاولة لتصب القهوة وهي تعرف أنه يراقبها . . هاهنا مفترق الطرق لكل شيء . . كيف يمكن أن تقول له إنها كانت في حالة صدمة لكن ليس بسبب روي وروزالين بل بسبب اكتشافي أنني أحبك منذ وقت طويل دون أن أعرف . . ولزمني كل الأسابيع التي مرت وأنا بقربك لأكتشف هذا بنفسي . . لا . . من الصعب قول هذا!

تمتم : من الأفضل أن تكون قهوتك مرّة .

ـ أنا واثقة أنك على صواب . . لقد أحسست بشعور غريب . . لقد كنت أتخبط في الماضي دون أن أدرك هذا ، ورقصنا الفالس معاً أنهى مقاومتي .

ـ وكنت لا شك تتخيطين فيما بعد .

ـ ما كان يبدو عليّ ، لا دخل لروي وروزلين به . . أعترف أنني بعد إعلان الخبر ، أحسست بالجرح لأنه لم يثق بي . . لكن روي يحب المفاجآت . . أليس كذلك؟

ـ لا يمكن أن تتوقعي إرادته أن يقول لنا في دقيقة ، وأن يحب المفاجآت في الأخرى . . حمراء!

ـ بلى . . أستطيع . . لأن الأمرين جائزين .

ـ أتظنين أن أية فتاة يختارها روي ستعجبك؟

ـ أتعني بكلمات أخرى أنني أغار؟ آه . . هيا الآن لانس . . أعترف أنني لا أحب روزلين لكنني لم أحبها يوماً . . ولا شيء تغير .

ـ لكنها كانت دائماً تتكلم بلطف عنك .

ابتسمت ساخرة :

ـ أنا واثقة من هذا . . وأنهم سبب انجذاب روي نحوها ، فهي جميلة من طبقة رفيعة ، ذكية ، وثرية . . وأنا آسفة لأنك تظنني أتصرف بلؤم . . لكنني أحاول أن أكون صادقة . . ولو أن فيها ميزات أكثر عمقاً ، لأدهشني

هذا. كل قيمتها الحقيقية مكشوفة لي.. وأظنها ستفسد روي.. مادياً أعني.

قال لانس ببطء: روي ليس بالضعيف.

ـ أعرف هذا وشخصيته السهلة المعشر تخفي ميلاً إلى العناد، وبمكنه الثبات على موقفه ساعة يريد.. وكلانا يعرف هذا.. لكن روزلين تروق للجزء الذي ورثه عن أنجيلا في نفسه. لكن، كما قلت، إنها حياته يفعل بها ما يشاء.. كل ما أريد أن تدخله في جمجمتك السميكة.. هو أنني لا أغار.. ولم يتحطم قلبي. يا إلهي لانس، لو أنني أردت الزواج بروي لتزوجته منذ سنوات! صحيح أن هذا يبدو عجرفة مني.. لكنه صحيح..

ارتشفت قليلاً من القهوة:

ـ لقد تظاهرنا أننا نحب بعضنا وأنا في أواخر مراهقتي.. لكن لم ينتج شيء عن ذلك.. لأنني.. لو أعطيته أي شيء من التشجيع، لانزلق من دور الصديق إلى دور الحبيب.. أنا.. وجدت أنني لا أستطيع.

جعلتها حركة من لانس نسأل: ما الأمر؟

قال: لا شيء.. تابعي.

شربت ما تبقى من قهوتها، ووضعت الفنجان بدقة مبالغ فيها.. وتابعت:

ـ كنا محظوظين بمتابعة صداقتنا القديمة.

ونظرت إليه:

ـ أظن أنني كنت أنتظر صابرة ليتقدم روي بطلب يدي طوال هذه السنوات؟ لم يكن الصبر يوماً من فضائلي، ثم لدي بعض الكرامة! لو أحببت رجلاً وعرفت أن لا أمل لي بهذا الحب.. سأرحل عنه وأبتعد عن طريقه.

تقدمت إليه وركعت أمام مقعده منهورة، وسألت تبتسم قليلاً:

ـ ماذا سأفعل لانس لأقنعك أنني لست متورطة عاطفياً مع روي، عدا

أن أضع إعلاناً في الصحف؟ إنه الأخ الذي لم يكن لي يوماً.

ـ هراء.

ـ أوه.. لماذا أزعج نفسي؟

نهضت من ركوعها واستدارت متجهة إلى الباب حين أمسكها لانس بيدها بعد أن وقف، وقال:

ـ لا تظنيني غير متعاطف معك حمراء..

انتزعت يدها منه:

ـ أنا لا أريد عطفك اللعين لانس! ولا أحتاج إليه.. كل ما أحتاج إليه هو ثقتك!

ـ وهذا ما أمنحك إياه.. ما عدا شيء واحد.

توقفت لتستدير ببطء:

ـ أوه! وما هو؟

ـ لطالما قال لي روي بنفسه إنكما ستتزوجان.

نظرت إليه بذهول:

ـ روي قال هذا؟ أنت لا تمزح.. أليس كذلك؟

رد نظرتها وتعبير مفكر على وجهه، ثم تقدم ليملأ فنجان قهوته مجدداً. لكنه توقف وهو يحمل الإبريق، ينظر متسائلاً إلى مايسي التي أخذت تهز رأسها.. غاصت على الصوفا، ورمت نفسها على الوسائد محتارة، تقول:

ـ ولماذا يقول روي هذا؟

ـ ربما كان يعتقد أنه كلام صحيح.. إلى أن غيرت روزلين له رأيه.

عاد ليقف قرب النار، ينظر إليها.

خرجت منها كلمة إنكار فورية وحاسمة:

ـ لا.. يجب أن يكون هناك سبب آخر. لانس.. لروي مئات الصديقات.. وتعرف هذا.. كلنا نعرف.

ـ ولا شيء منها جاد. كان المفترض أن يكون روي ينتظر استقرارك.

ـ أوه.. يا إلهي! السبب الوحيد الذي كان يمكن أن يدفعني للزواج منه، هو أن أضع أنف العمة أنجيلا في غير مكانه.. وهذا ليس بالسبب الجيد، أليس كذلك؟

رد بصوت جاف: بالكاد.

ـ روي لم يتخلى عني.. أو أنه ضجر من انتظاري.. أو أي شيء قد تظنه العائلة.. ليس هناك أي داعٍ للقلق عليّ لانس، صدقاً.

هز رأسه ثقيلاً.

ـ لكنك لن تستطيعي إقناع العائلة بسهولة.

ـ سحقاً للعائلة.. يمكنهم الظن بما يشاؤون.

ارتفعت زوايا فمه سخرية:

ـ يجب قول شيء حول فتور العلاقات.

قفزت إلى قدميها تهز رأسها:

ـ أوه.. لا.. لن أقبل بهذا.. أنت تتكلم كمن يعرف أنه جيد في هذا الاتجاه. لطالما سيطرت على عائلتك ببراعة آمرة، لانس.. لكن، بالنسبة لي، خطوبة روي وتحطم قلبي المزعوم سوف يتلاشيان قريباً.

قال متشدقاً:

ـ حسناً.. سنرى إذا كان بالإمكان إعطائهم شيئاً آخر يفكرون به.

التقطت حذائها استعداداً للخروج، عند الباب ترددت واستدارت إليه:

ـ شكراً لانس.. لإصغائك لي.. أوه.. ولكل شيء.

ابتسمت بسرعة قبل أن تقول شيئاً غبياً وخرجت.

في الفراش راجعت مرات ومرات حديثهما تساءل عما إذا كانت قد قالت أي شيء خطأ.. صرفت النظر عن ادعاء روي، إذ لا بد أن لانس فهمه غلطاً.. تساءلت كذلك ما إذا كانت حقاً أقنعته.. ربما ليس تماماً،

لكنها أعطته ما يفكر به.

استدارت إلى معدتها، تضم الوسادة.. لانس.. همست باسمه في سكون الغرفة وأغمضت عينيها.. إنها تراه بوضوح.. العينان الزرقاوان.. الفم الجميل.. الحاجبان الواضحان.. الأنف والذقن.. كيف يستطيع المرء في ومضة واحدة أن يصبح أهم شخص في حياة امرئ آخر؟ استدارت إلى ظهرها.. كيف يمكن لوجه أن يقفز من كونه عادياً مألوفاً إلى كونه جميلاً عزيزاً إلى ما دون حدود؟ آراء رجل واحترامه لا معنى لها في دقيقة، وفي الأخرى يكون لها منتهى الأهمية؟ وكيف تسلل هذا الاكتشاف بكل مكر إليها؟

وهي على وشك النوم، أدركت أن شيئاً إيجابياً يبرز من كل هذا.. كانت قد بدأت تؤمن أنها لن تقع في الحب أبداً.. وأنها ناقصة.. ومن دواعي الراحة أن تجد بعد كل شيء، أنها طبيعية.. بطيئة، عمياء، غبية.. لكن طبيعية!

نظر بريسكوت كعادته إلى فنجان الشاي يدرس محتوياته للحظات، وضم شفتيه. نقل نظراته إلى مايسي، التي كانت تقرأ رسالة تلقتها لتوها وقال متعمداً: آه هه!

وكان الصوت مميزاً بحيث التفتت إليه:

ـ لماذا تقول آه هه!.. بريسكوت؟

استقامت الشفتان المضمومتان، ثم انضمتا مجدداً.

ـ هناك إشارات مثيرة للاهتمام في أوراق الشاي، شيء ما يحدث.. هه؟

ردت بهدوء:

ـ شيء ما يحدث دوماً.. ابتعد عني!

جلس قبالتها وأسند ذقنه إلى يده متجاهلاً طلبها.

ـ أتمنى لو تتركيني أتطلع إلى يديك.. أنا أضع عينيّ على يديك منذ

زمن طويل.

ضحكت: أعرف هذا.

طوت الرسالة.. كانت من أمها وواين.. ومعها شيك بمبلغ دسم، هدية الميلاد.

- أعرف كل شيء عن الماضي.. شكراً لك.. أما المستقبل، فأنا أفضل أن لا أعرف.

تنهد بريسكوت ساخطاً.

- تعرفين أنني لا أدعي التكهن بالمستقبل، وأي قارىء كف يدعيه غشاش.. للقدر والإرادة الحرة دوران متساويان يلعبانهما، ويمكنك تقرير ما تريدين.. قد أتمكن من أن أرشد زبوناً إلى شيء في كفه يحكم مستقبله ويستطيع بهذا الحذر منه أو العمل معه، أو ضده، لكنني لا أتكهن بالمستقبل.

رمى زهرة مينة من يده إلى سلة القاذورات، وأكمل:

- أنا لا أؤمن بالحظ.. إنه ليس هدية ينالها البعض والآخر لا.. نحن نصنع حظنا بأيدينا، ويجب أن نعمل لأجله.. ما كان يجب أن أعتقد أنك من النوع الذي يقلق على المستقبل، مايسي.

- لست قلقة.. ولست شكاكة بريسكوت، وأنا أصدق أن هناك شيئاً صحيحاً في قراءة الكف، والنجوم.. في الواقع، يمكن أن أصبح مهتمة جداً.. لكن ليس الآن.. في هذه اللحظات من حياتي، أنا مشغولة جداً.

ابتسم فجأة، وتحولت تسماته الحزينة عادة إلى مرحة ماكرة.

- خائفة أن أرى الكثير.. هه؟ آه.. حسناً، أنا أعرف أكثر مما تظنين.

نظرت إليه بحيرة: أوه؟ حقاً؟

هز رأسه:

- من شكل يديك.. لك يدان أدعوهما قابلتان للتحليل.. الكف الطويل المستطيل الشكل.. الزاوية الجيدة عند الإبهام.. أترين؟ أطراف

الأصابع المدببة.. هذا يعني أن لك ميلاً للإبداع.. ومن الخارج أنت واثقة من نفسك ونادرة.. أما من الداخل، فأنت مرتبكة قليلاً.. ولك إحساس جيد بالتوقيت.. لا تحبين التأخير في أي شيء.. أنت مخططة وتحبين التغيير، مع قليل من الإثارة.. هه؟

توقف ونظر إليها متحدياً.. فضحكت.

- يمكنك معرفة كل هذا من مجرد معرفتي، عزيزي بريسكوت.. وابقى متكتماً حول مسألة الارتباك.. أنت صديق.

لوح بإصبعه وأخذ يدها يدير كفها إليه:

- لو ذهبت إلى أي قارىء كف لا يعرفك، فسيقول لك ذات الكلمات.. أما كونك تهتمين بالنجوم فاليد لها علاقة بالنجوم، وتعرفين هذا.. هذا المرتفع عند أسفل الباهم مثلاً هو مرتفع الزهرة.. لك مرتفع جيد ثابت ليّن.. فيه طاقة جيدة.. أما المرتفع تحت إصبع السبابة فهو للمشتري.. وتحت كل من الأصابع الثلاث الباقية، لدينا زحل، الشمس وعطارد.. كلهم يقولون شيئاً مختلفاً. الزهرة تعني الدفء، الحنان، الحب والكراهية. المشتري للطموح والكبرياء والقيادة.. زحل للاستقرار والتعقل.. الشمس وأبولو معاً للفن والازدهار.. عطارد للخصوبة واليقظة والفطنة في العمل.

سحب بريسكوت كرسيه إلى الأمام، متحمساً للموضوع:

- منتصف الكف يسمى سهل المريخ.. يخبرنا عن الطاقة والحماس والقدرة على الاسترخاء، وكل مصادرنا الجسدية.. أترين؟ ثم في الأسفل هنا قرب المعصم، مرتفع نبتون يتعامل مع الانسجام والتواصل.

قالت مايسي وقد علقت دون أن تدري:

- قال لي أحدهم يوماً إن اليد اليسرى هي الماضي واليمنى هي الحاضر.

- هذا صحيح.. لكن اليدان تتغيران دائماً.. البعض يقول إن اليسرى

هي لما أنت مولود عليه واليمنى ما ستكون. . لكن ماذا يحصل لمثل هذا الرأي حين يكون المرء أعسرا؟ هه؟

ـ ليس لدي فكرة.

ـ كما أنظر إلى الأمر، كلنا نعرف أن الجهة اليمنى من الدماغ تسيطر على الجهة اليسرى من الجسم. والعكس بالعكس. . فإذا كنت تستخدمين يدك اليمنى. . اليد الرئيسية. . اليد الفعالة. . يد المنطق، فستظهر لك كيف تتصرفين في الأزمات. . أما اليسرى الثانوية. . فهي مهمة مثلها تماماً. فهي تمثل ردات الفعل والغرائز، الآن لنعكس الرئيسية والثانوية، فيتغير المثال كله. . أليس كذلك؟

ـ أجل. . أعتقد هذا.

كان اهتمام بريسكوت يتأرجح صعوداً ونزولاً من وجه مايسي إلى كفها، انتقل الآن إلى يدها اليمنى وتمتم كأنما لنفسه:

ـ هذا مثير للعجب.

قرب الكف إلى عينيه:

ـ أترين هذه الخطوط المتصلبة الصغيرة كأنها النجوم؟ يبدو وكأنك ستصبحين مشهورة، أو قد تصبحين شريكة محبة. . في الزواج ربما. . هه؟ أجل نجمة فوق المشتري تستحق الشهرة فتاتي.

عادت مايسي إلى وعيها مجفلة. . وانتزعت يدها:

ـ بريسكوت! لقد وعدتني!

وضحكت بالرغم من غضبها.

ـ كوني منصفة! كل ما قلته هو ما يمكن أن يكون. والأمر عائد لك، أليس كذلك؟ الجلوس بكسل دون فعل شيء لن يوصلك إلى شيء. . ستكونين على ما يرام مايسي. . فأنت ابنة الشمس. . مولودة في برج الأسد. . أليس كذلك؟ الحاكم نوعية أخرى تماماً. . إنه من برج الجدي. . لكن له بدان مثيرتان للاهتمام.

سألت مايسي باهتمام عميق:

ـ هل يؤمن بقراءة الكف؟

ضحك بريسكوت:

ـ للحقيقة، لا فكرة لدي، فهو لا يسمح لي بقراءة كفه. . لكنني سأقول لك هذا. . عبر السنين أصبحت أؤمن أن سن الخامسة والثلاثين غالباً ما يكون عمراً مهماً في حياة الإنسان. . والحاكم سيصل هذا السن في كانون الثاني القادم. . أليس كذلك؟

دس كرسيه تحت الطاولة وكأنه أثبت وجهة نظر. . وابتسم:

ـ سننتظر لنرى. . هه؟

بعد يومين من هذا، تلقت مايسي رسالة أخرى قصيرة ومحددة: «يوم الجمعة على الغداء. . في زيغفيلد. . روي» وسجلت الموعد في مفكرتها وفكرت به.

كانت لندن قائلة في زحمة ما قبل الميلاد، وذهبت مايسي إلى المكتب لتوقيع الشيكات وإيصال هدية ستيلا. . وهي على وشك المغادرة قالت لصديقتها:

ـ على فكرة. . هل خططتما لشيء أنت ودون لأمسية رأس السنة؟ سنقيم حفلة في «بريدون هاوس» وسأحب أن تأتيا.

تهلل وجه ستيلا:

ـ عظيم! كلي ترقب لمقابلة أسرة بلايوود.

ـ جيد. . من الثامنة والنصف وصاعداً.

ثم نظرت إلى ساعتها وتأوهت.

ـ يجب أن أسرع. . ميلاد سعيد. . انسي كل شيء عن العمل، سأراك ليلة رأس السنة.

حضنت صديقتها وأسرعت في الخروج لتحافظ على موعد الغداء مع روي.

حياها كبير السقاة في المطعم بالاسم، ولحقت به عبر القاعة. . وتذكرت ذلك اليوم مع لانس حين أعاد روي تعريفهما بروزلين. . حدث الكثير في هذه الأشهر. . لقد حدث لها. . لانس. .

كان روي لوحده، رأته قبل أن يعي وجودها وتوقفت بسمة على شفتيها وهي تتفحصه. كان وجهه كئيباً وجبينه مجعداً. . رفع رأسه ورآها، وانجلى وجهه. وقف على قدميه يبتسم يمسك يديها قائلاً:

ـ مايسي. . حبي. . تبدين جميلة. . في الواقع تبدين كمليون دولار!

قبلته على خده ضاحكة:

ـ أنا بالتأكيد لا أساوي هذا المبلغ! مرحباً روي. . هل بك شيء؟

ـ دعيني أخلع عنك معطفك. . أنا مسرور لمجيئك. آمل أن يكون لانس أعطاك فرصة دون كثير من السؤال؟

ـ لست مضطرة لطلب الإذن روي. . وروزلين؟

ـ ما لا تعرفه، لا تقلق بشأنه.

قطبت مايسي.

ـ ليس هناك سبب كي لا تعرف روزلين. . أليس كذلك روي؟

ـ بالطبع لا. . مع أنني لست مضطراً إلى قول كل شيء لها. . أليس كذلك؟ هل قصصت شعرك؟

ـ إنش واحد فقط. . ولا تغير الموضوع.

جاء الساقي بلائحة الطعام، وبعد الطلب تابعت:

ـ لم ترد عليّ بعد. . ما الأمر؟ الصديق وقت الضيق!

رد روي بوقار: الصدق ينجي.

ـ من تأنى نال ما تمنى.

ـ قرش لأفكارك. .

ضحكت مايسي وهزت رأسها: هذا خارج الموضوع.

صمت يدرس وجهها وكأنه يحفظ كل خط وانحناءة فيه. . ثم قال:

ـ آسف لأنني لم أخبرك بشأن روز.

ـ لا بأس في هذا روي. . أنهمك.

ـ حقاً؟ هذا لطف منك. كنت أنوي القول لك بالتأكيد قبل الحفلة «الباقوتية»، ثم خلالها. وقبل أن أعرف ماذا يجري، دفع بنا إلى إعلان الخطوبة من حيث لا ندري.

وصل الطعام وبدآ يتناوله. . ثم قال روي: لا بد أنك فوجئت.

ـ أجل. . ولا. . لقد آن أن تتزوج. . المسألة فقط كانت مسألة من.

ـ ألم يلمح لانس بشيء؟ ظننته عرف.

ـ لا. . لم يلمح شيئاً. . متى اليوم الكبير؟

ـ في آذار، وأريد حضورك مايسي. لن تهربي إلى الطرف الآخر من الكرة الأرضية. . أرجوك!

ـ ليس لدي خطط لهذا في الوقت الحاضر.

خلال ما تبقى من الوجبة كان حديثهما عاماً. . وفي الطريق إلى الخروج توقف روي عند طاولة وضحك قائلاً:

ـ انظري من هنا مايسي!

استدارت مايسي لترى أولاً دوللي وودز ثم رأت لانس الذي وقف بوجه بارد. تبودلت التحيات وتبع هذا حديث صغير، ثم تابع روي ومايسي طريقهما إلى الخارج.

قال روي وهو يزرر معطفه:

ـ أتساءل ما إذا كان لانس سيعلن خطوبته قريباً؟

رفعت مايسي ياقة المعطف الفرو حول عنقها ترد بحبور:

ـ أنا لست موضع ثقة لانس روي. . أكثر مما كنت موضع ثقتك.

افترقا. . وبينما كانت مايسي تتجول على واجهات المحلات تحاول شراء شيء، عرفت أن الأمور لن تعود كما كانت بينها وبين روي وهذا أمر حتمي طبعاً. . لكن روزلين، ولكونها روزلين ستوسع الشق بينهما. .

ومايسي تعرف هذا غريزياً..

وهي عائدة في القطار، تعاظم الألم في حلقها وأصبح البؤس في قلبها أكثر ثقلاً وهي تفكر بلانس ودوللي.. الخطوبات معدية، وهناك أقل من سنة فرق سن بينهما، كان لانس وروي دائماً يفعلان الأشياء معاً.

مع أن التدفئة كانت تلف القطار، فقد كانت مايسي ترتجف ساعة دخل محطة آشويل. وأدارت التدفئة إلى أعلى مستوى في السيارة وقادتها إلى المنزل. حين وصلت، كانت آلين تنتظر في الطريق الداخلية لتخبرها أن كوميت هرب وهو الآن مفقود.. أوقفت مايسي السيارة وانضمت إلى المطاردة.

قد يكون الكلب في أي مكان.. والتفتيش سخيف جداً.. لكن مايسي لم تستطع مقاومة نظرة التوسل في عيني آلين.. ومع أن رأسها كان يضج ألماً، فقد جالت في الممرات الوعرة تنادي وتصفر، تحاول تجاهل الثلج المتساقط وهي تشعر بالإرهاق.

حين استسلمت أخيراً وعادت أدراجها، وهي تفتح باب المطبخ، وجدت كوميت في سلته تربت عليه آلين متهللة.

ـ كان يجلس على عتبة الباب حين عدت منذ ربع ساعة مايسي.. أليس ذكياً لإيجاده الطريق إلى المنزل؟

هزت مايسي رأسها مسرورة، لكنها كانت مرهقة.. فجأة لمحت طيفاً يستند إلى الباب يراقبها.. وقال لانس:

ـ إنه يعرف مصلحته.. هذا المأوى يناسبه وكان من غير الجدوى التفتيش عنه.. يا لكما من حنونتين رقيقتي القلب.

وشد شعر آلين.. قالت مايسي وهي تتحرك عبر المطبخ:

ـ مؤسف أن لا شعر مربوط لي كي تشده، أعتقد أنك تفكر بأن من الأفضل أن تتركه يهرب وأن تدوسه سيارة؟

وصلت الباب تعي صمتاً مصدوماً.. ثم قالت آلين بحيرة:

ـ كان لانس يقود سيارته حول المنزل يفتش عنه مايسي.

اجتازت مايسي الباب.. وسألت آلين:

ـ ما بال مايسي.. لانس؟ أوه.. أنا لا أفهم الكبار أحياناً.

ـ لا تقلقي فطتي.. العمر ليس ضرورياً للمعرفة.

أخذت مايسي حبتين من المسكنات وحاولت تناول شيء من عشائها.. رائحة التقاء عيني لانس، لم يكن انفجارها في وجهه منصفاً ولا ضرورة له. لكن.. إذا لم يكن بالإمكان أن تحبه.. فمن الأفضل لها أن تكرهه.

كان من المفترض وضع شجرة الميلاد وتزيينها تلك الليلة.. وفتحت آلين الزينة بحذر واحدة واحدة وقالت:

ـ أوه.. ها هي الشرائط الحمراء العزيزة.. أليست جميلة؟

تمتمت مايسي:

ـ بعض هذه الزينة عمرها لا يقل عن عشرين سنة.. أذكر أنني ذهبت إلى مسرحية ساندربلا مع أبويك.. ثم جاء والدك بهذه العربة الصغيرة والجياد لي.

أدارت مركبة وجياد حمراء اللون في يدها قبل أن تعلقها على الشجرة.. قال جوهان:

ـ أعتقد أنه كان الأب البديل لك مايسي؟

ابتسمت توتف عملها على رأس السلم.

ـ أجل.. كنت أحبه كثيراً، وخالتي هيلاري كذلك. مع تقدم السن يلاحظ المرء أن هناك أشياء يأخذها كالمسلمات وهو صغير.. ولا بد أنه كان من الصعب على أمي أن تتركني هنا..

ـ خالتي نانسي محبوبة ألبست كذلك جوهان؟ من حسن ظنا أن أشفق لانس علينا.. لا أجرؤ على التفكير كيف كنا سنعيش مع زوجة عمنا أنجيلا! مسكين لانس.. يا لها من إعاقة وجودنا معه!

ونفت:

ـ سأذهب لأرى إذا كانت قوالب الحلوى جاهزة.. بريسكوت سيصنعها الليلة.

صمت جوهان لحظة، ثم قال:

ـ الأمر كما تقولين مايسي.. كلما كبر الإنسان، أصبح يقدّر الأشياء أكثر.. ولقد أخذ لانس على عاتقه عبئاً كبيراً حين تحمّل المسؤولية عنا.. أليس كذلك؟

ـ أجل.. لقد فعل.. لماذا لا تسأله إذا كان الأمر يقلقك؟

ـ إنه لا يقلقني بالضبط.. لكنني أعرف أن الأمور ستتغير.

أخذت مايسي حيل زينة آخر تشعر أن قلبها بدأ يخفق بسرعة أكثر، وقالت متسائلة:

ـ أوه؟

ـ أنا واثق جداً أنه يفكر بالزواج قريباً. كنت أنظف حذاء لعبة «الركبي» وكان باب المطبخ نصف مفتوح، ولم يعرفا أنني هناك، أعني لانس وبريسكوت. وكان بريسكوت يستعد لإلقاء إحدى محاضراته.. وسأل متى سيسمح له لانس بالنظر إلى كفه مرة أخرى.. قال لانس بلهجة ممازحة إنه يعرف ما يفعله تماماً ولا يحتاج إلى تدخل بريسكوت.. وإن بريسكوت يلاحقه منذ مدة طويلة، وهل من الممكن أن يصبر إلى ما بعد زواج روي.. زواج واحد لوقت واحد، كما قال لانس.

نظر جوهان إلى عمله بإعجاب، وأكمل:

ـ كان يتكلم عن زواجه، أليس كذلك؟ لم أخبر آلين فهي لا تحب دوللي كثيراً.. وأظن أنها الفتاة التي ستكون زوجته.. ألا تظنين هذا.. مايسي؟

هزت مايسي رأسها فأكمل:

ـ يمكن أن يكون هناك واحدة أخرى طبعاً.. لانس يغيب عن المنزل

دائماً، لكنه لا يأتي بدوللي كثيراً إلى هنا.. على أي حال، يجب أن ننتظر لنرى.. ما رأيك بهذا؟

لحقت نظرته إلى الزينة:

ـ أوه أجل.. تبدو جيدة.

وخرج ليتخلص من الأوساخ.

جلست مايسي بهدوء... لا تشعر بشيء.. بدا أن جسدها لا ينتمي لها.. كانت لا تزال جالسة ونجمة بين يديها، حين انفتح الباب ودخل لانس.. كان قد خلع ثياب المدينة وارتدى ثوب رياضة أزرق، زاد من بروز لون عينيه. وقف يراقبها دون قول شيء.. فوقفت تمد يدها عالياً لتعلق النجمة على رأس الشجرة.. وتحرك السلم فوازنت نفسها فوقه.. لتسمع صوت لانس بارداً، متهماً يقول لها:

ـ أتعتقدين أن من المناسب تناول الطعام مع روي؟

التقطت حيل زينة ذهبي، ورمته فوق الأغصان، ترد بخفة:

ـ ولماذا لا؟ يجب أن آكل.

ـ تعرفين ما أعني.

أدارت رأسها بسرعة ثم تمسكت بالسلم لدوار أصابها، وقالت بصوت حاد:

ـ أجل أعرف.. وسأتناول الغداء معه في أي وقت يطلب هذا مني.

التقط صورة ملاك أعطاه لها:

ـ لكن روزلين لن يعجبها هذا.. هذا السلم ليس آمناً.

ـ بإمكان روزلين أن تختنق بهذا.. لن أغير علاقتي بروي.. ليس لدي ما أخبئه.

ـ أنت تطلبين المصاعب حمراء.

استدارت نحوه غاضبة.

ـ أنت لا زلت غير واثق مني.. أليس كذلك لانس؟ شكراً لك على

ثقتك!

ترنح السلم مجدداً، حاولت استعادة توازنه فبالغت، وسرعان ما كانت في طريق والسلم في آخر، وتمتمت: اللعنة!

وصاح لانس:

ـ قلت لك إنه غير . .

واندفع نحوها لتتشابك أيديهما وأرجلهما المتطايرة، وأرسلته الصدمة إلى الوراء ووقع السلم بسهولة على الصوفا، وانغلق جانباه.

لكنهما حطا بقسوة على السجادة، لانس أولاً ليتلقى كوع مايسي في ضلوعه. . ثم لحقت به يتلقفها جسمه، ثم صاحت لاصطدام خدها بكتفه.

عدا عن صرخة لانس لاصطدامها به، قالت مايسي: آه! ثم ساد صمت عميق، بينما الاثنان يلتقطان أنفاسهما.

كانت مايسي مستلقية فوق لانس وشعرها منتشر على وجهه. . وتأوهت متمتمة في بزته الرياضية:

ـ سأنال عيناً سوداء هدية الميلاد.

أحسته يضحك، وارتفعت ذراعه عن ظهرها يرفع يده ليبعد شعرها عن فمه وهو يرد:

ـ ظننت فترة الميلاد فترة مليئة بالإرادة الطيبة. اصنعي معي معروفاً، وابقي على مستوى الأرض حمراء.

وتنهد بعمق.

رفعت رأسها لتجد نفسها تنظر إلى عينين زرقاوين ضاحكتين:

ـ كان السلم آمناً تماماً إلى أن أصبته بعينك الشريرة.

أحست بذراعه تعود إلى مكانها لتضم جهدها إلى الأخرى في الإمساك بها بضغط خفيف لكن ثابت، فأكملت بخشونة: أظنك خربته.

ارتفع حاجباه بشكل ساخط مبالغ فيه ورد مؤنباً:

ـ هل هكذا تكلمين من رمى نفسه ليحميك دون التفكير بسلامته الشخصية؟

بدأت تضحك، ثم توقفت تكتم نفسها ثم تتركه يخرج بآهة صغيرة مع اختلاط الضحك بالألم.

انفتح الباب ونال صوت:

ـ جئت لأسأل إذا كنتما تهتمان بقليل من الفطائر الساخنة. . لكنني أرى أنكما مشغولان بأشياء أخرى. . عفواً.

وتراجع بريسكوت يقفل الباب خلفه.

تمتمت مايسي:

ـ روح بريسكوت الممازحة تذبحني.

أدارها عنه بلطف إلى السجادة. . ثم أسند نفسه على مرفقه وسأل:

ـ أتظنين أن بك شيء جدياً؟

هزت رأسها نفياً. . فأكمل:

ـ أنا آسف. . لكنك ستحصلين على شيء جميل.

تحسس جيبه، وأخرج منديلاً وضعته مايسي على عينها المبللة.

ـ سأقول للجميع إنك ضربتني. . ولهذا سأترك المنزل.

أحست بجمود لانس وعدم رده، ففتحت عينيها تحس اللون الأحمر يتصاعد إلى وجهها. . وقال لانس بلهجة وتعبير باردين:

ـ وهل ستغادرين؟

جلست تتأوه ألماً وجسدها يحتج. .

ـ أجل لا أظنها فكرة جيدة أن يعتاد الولدان على وجودي. . ألا تظن هذا؟

وقف لانس ببطء يمدد ساقيه بخفة. . وأكملت مايسي كاذبة:

ـ لقد طلبت من ستيلا أن تجد من تحل مكاني، امرأة من الجوار إذا أمكن. فكرت أن هذا سيوفر عليك الانزعاج.

ـ شكراً لك.. وأنا ممتن لبقائك هذا القدر من الوقت.. هل أمامك عمل آخر؟

ـ شيء ما.. لكن شقتي ستصبح فارغة بعد رأس السنة.. لن أقول لجوهان وآلين إلى ما بعد الميلاد.. أيمكن؟

مد يده: هذه فكرة جيدة.

بعد تردد لحظة وضعت يديها بيديه، وما إن أصبحت على قدميها حتى سحبتهما، تتساءل بيأس لماذا حركته العادية كانت كصدمة كهربائية لها.. لم يبدُ عليه أي انزعاج لأنها ستغادر.

نظر لانس إليها متفحصاً:

ـ هل تشعرين أنك على ما يرام حمراء؟

قالت كاذبة: أنا بخير.

كانت تحس إحساساً رهيباً، وإذا لم تبتعد بعد دقيقة فلسوف تنفجر بالبكاء.

وضع يده على جبهتها:

ـ لا تبدين بخير لي.. أنت تحترقين حرارة! واضح أن حرارتك مرتفعة.. اذهبي إلى الفراش. هيا.. إلى الفراش.

ودفعها بلطف إلى الباب.

* * *

٧ ـ ضاعت بين يديه

حسب رأي الطبيب، كانت مايسي مصابة بالتهاب اللوزتين.. وفكرت أن هذه طريقة درامية في الخلاص من لانس، ولو أنها غير ناجحة.. فقد أخذ يزور غرفة المريضة بشكل متواصل، ليتأكد أن لديها ما يكفي من الليموناده وأنها تأخذ الدواء بانتظام. تطلع مرة في الغرفة قائلاً:

ـ لماذا لدي انطباع وكأنك روح غير مستقرة حمراء.. تنتقلين من مكان إلى آخر دائماً؟ حتى ونحن صغار، لم تتركي أي أثر لك في هذه الغرفة مع أنها كانت لك.

لم تعد لي بعد الآن.. فكرت مايسي بحزن.. لا تزال تعاني من مرضها الذي أضعف روحها المعنوية. لا أريد ترك المكان أبداً.. لكن من الجنون أن أبقى.

ليلة الميلاد وجدت مايسي نفسها أفضل بقليل، لكن ليس بالقوة التي تكفي للذهاب إلى حفلة العشاء عند أسرة كولينز.. انضم إليها لانس في غرفة الجلوس قبل ذهابه.. كان يرتدي قميصاً أزرق، وبطة عنقه زرقاء وحمراء مرقطة.. وأمعنت مايسي النظر فيه تخفي مشاعرها. كانت تجول في العالم منذ سنوات عمياء البصيرة.. والآن لا تستطيع رفع نظرها عنه.. قد يسمون هذا تجاذباً، لكن الأمر ليس هكذا فقط.. إذ لا يمكن فصل لانس الرجل عن مظهره وما كان عليه كشخص مستقل. إنه لانس..

ككل . . في أي رجل آخر، شكل الأذن مثلاً لن يهمها أبداً . . طريقة تفكيره بصمت . . الطريقة الجافة التي يقابل بها نكتها، كلامه المتسلي . . كل هذا قد يثير شيئاً في شخص آخر ويوتره . . لكن لأن كل هذا جزء لا يتجزأ من لانس، فهي مميزة فيه .

سألها :

ـ هل أنت واثقة أنك لا تريدين أن أبقى معك؟

ضحكت تتمتع بلهجة التوسل في صوته .

ـ لن تستطيع التخلص من الذهاب لهذا العذر . . ستشم العمة أنجيلا رائحة شيء ما! سوف . .

صمتت تكاد تعض لسانها سخطاً . . فأكمل :

ـ أتعنين أنها سوف تتأكد من صحة شكوكها؟

ـ مسكينة أنجيلا . . كانت متأكدة أنني أنشبت براثني في روي منذ سنوات . . ولأنه الآن أصبح آمناً مني، بدأت تقلق عليك . . كنت آمل أن لا تلاحظ اهتمامها بنا .

ـ خلال السنوات أصبحت مدركاً حقاً لما تفكر العمة أنجيلا به . . وقد لا تكون فكرة سيئة أن تشجعها على تفكيرها . . نحن بحاجة إلى شيء يبقي العائلة مشغولة التفكير كما اتفقنا، أليس كذلك؟ ما رأيك بتمثيلية غرام مشبوب بيننا . . هه؟

ونظر إليها مشجعاً . . فهزت رأسها :

ـ إنه غير ممكن التصديق كثيراً .

وصبت لنفسها كوب ليمونادة بارد .

ـ أوه . . كان يمكن أن يكون مسلياً .

قال هذا بعدما بدا لمايسي صمت طويل . . وقاومت ميلاً نوياً لرفع حاجبيها . . فأكمل :

ـ على أي حال . . أعتقد أن لدينا ما يكفي لبقائهم مشغولين الليلة . .

ويمكن للضوء أن يتركز على جوهان بدلاً منا .

رفعت رأسها بدهشة :

ـ أوه . . هل قال لك . . أنا سعيدة لانس .

ـ لقد أسرّ إلي ليلة أمس عن طموحه بأن يصبح ممثلاً، ولسوف نلقي نقطة اللؤلؤ هذه خلال حديث العائلة هذا المساء . ولسوف تحرك كل شيء . . أليس كذلك؟ ستريح مخيلة العمة أنجيلا من الخيالات السخيفة .

ضحكت معه . . لكنها كانت تشعر بألم كالجحيم . . إذن هذا هو الأمر . . الحب بينها وبينه خيالات سخيفة . . حسناً . . هو هكذا بالفعل . .

ـ وماذا تشعر نحو جوهان؟

هز كتفيه :

ـ قلت له إنني سأدعمه . . ولا أستطيع التفكير لماذا ترك نفسه يصل إلى هذا الحد . . لقد توصلت إلى استنتاج أنه كان يخاف مني .

ـ أوه . . هيا الآن لانس . . أنت لا تصدق هذا حقاً؟ جوهان يحترمك كثيراً ولا يريد أن يخيب أملك . . هذا كل شيء .

نادت آلين : لانس نحن جاهزان .

بقي لانس جامداً يفكر بكلمات مايسي ثم ابتسم بخبث :

ـ سأبلغ حبك للعمة .

وقف يلوح لها قبل أن يخرج .

دخل بريسكوت بعد قليل يحمل باقة وود حمراء في وعاء زجاجي، وقال :

ـ هاك . . هدية لك . . من الحاكم .

ووضعها على طاولة صغيرة قرب مقعدها، فانحنت تشمها :

ـ إنها جميلة . . هذا لطف منه .

ـ أجل . . فكر أنك قد تحتاجين إلى شيء من البهجة، كيف تشعرين؟

ـ أفضل مما كنت . . بريسكوت . . هل تملكك يوماً إحساس أنك في

قطار سريع لا نستطيع النزول منه؟

نفرس بريسكوت بها بضع لحظات:

ـ لا أستطيع القول.. لكنني كنت سأبقى لو كنت مكانك مايسي.. فقد يكون خطراً القفز منه.

وهو يغادر الغرفة، أسندت مايسي رأسها إلى الخلف وفكرت بإحساس متخدر: وقد يكون البقاء فيه أكثر خطورة!

اتصلت نانسي صباح عيد الميلاد.. وأكدت لها مايسي أنها بخير، ثم أكملت تخبرها أنها ستترك بريدون هاوس وتعود إلى الشقة.. وساد صمت قصير، تابعت مايسي بعده:

ـ لا أستطيع البقاء هنا إلى أجل غير مسمى أمي.. لا أعتقد أن هذا إنصاف لآلين فهي تعتاد على وجودي، ولأوفر عليك السؤال أقول «لا» لم أتشاجر مع لانس.. وهذا ليس السبب!

قالت نانسي:

ـ حبيبتي.. أنت متوترة! أنا سعيدة جداً لأنك متفقة مع لانس هذه الأيام.. ولطالما فكرت أنك لو أعطيت نفسك فرصة معه، لوجدت أن هناك أشياء كثيرة مشتركة بينكما.. مايسي، نحن قادمان إلى أوروبا في الربيع.. فهل تأتين لنراك؟

ـ طبعاً..

ـ عظيم.. لدي وايد ارتباط في روما، ويحاولون ترتيب شيء ما إما في فرنسا أو في المانيا.. لكنني سأخبرك بما سيجد.. من الأفضل إنهاء المكالمة الآن. اعتني بنفسك مايسي حبيبتي.. وعام سعيد. أبلغي حبي للجميع.

ـ عام سعيد لك أيضاً أمي.. وحبي لوايد.

أعادت مايسي السماعة مكانها ووقفت مفكرة بعمق.. كان لديها رغبة عارمة في الإفضاء لأمها بما يشغل بالها، لكنها قاومت الإغراء المتهور.

رفعت عينيها إلى الجدار، لتقعا على صورة أخذت في صيف ما في الحديقة وتستطيع تذكر ذلك اليوم بوضوح.

في الصورة، كانت الخالة هيلاري تجلس على مقعد حديقة خشبي وآلين ذات الثلاث سنوات على حجرها.. وجوهان في السابعة يستند إلى ركبتيها.. كان العم نيكولاس يجلس إلى جانب زوجته وخلفهما لانس، مايسي، وروي.. كان لانس يحمل مضرب تنس وذراع روي حول كتفي آلين.. والتقطت الكاميرا الصورة في اللحظة التي استدارت فيها مايسي لتضحك لشيء قاله روي، هكذا بدت تنظر إليه.

كانت يومها تقارب الثامنة عشرة.. والصبيان في أوائل العشرينات.. سن الغرور! كانت تشكل فريقاً مع لانس ضد أبيه وروي وكسبا لتوهما مباراة تنس. كانت مباراة مثيرة مرهقة، حتى أنهما لحظة فازا بها، رمت ذراعيها حول عنق لانس تصيح مبتهجة.. فضحك وحملها يدور بها، وسارا عائدين ذراعاً بذراع، بانتصار. نحو الخالة المعنفة وأمها. تذكرت الإحساس بالسعادة، تلك الصحبة مع لانس الذي كان في الثالثة والعشرين، ويدرس المحاماة، وبدا فجأة كبيراً ناضجاً. دام هذا الإحساس طوال أسبوع العطلة تلك.. لكن حين التقت به بعد بعض الوقت، فيما بعد، كان قد عاد إلى برودة المعتاد، وتصرفه المتباعد.. وفي دفاع عن النفس، أصبحت عابثة متحدية وعادا إلى ما كانا عليه من خصام.

رفعت مايسي يدها لتسوي وضعية الصورة قبل أن تستدير مبتعدة.. لكنها توقفت مسمّرة حين رأت لانس يراقبها من على الباب.. وتبكت للنظرة على وجهه وقالت متلعثمة:

ـ أنا.. كنت أنظر إلى الصورة.

طال الصمت الغريب.. فأكملت:

ـ إنها تعيد بعض الذكريات السعيدة.. أليس كذلك؟

ـ حقاً؟ لا تضيعي حياتك في العيش في الماضي حمراء، فهذا لن

يفيدك أبداً.

وخرج من الغرفة.

نظرت مايسي إلى الباب الفارغ، ونظرة كلالة على وجهها.. إنها لا تنوي العيش في الماضي.. فالحاضر صعب عليها بما يكفي.

بحلول أمسية رأس السنة كانت مايسي قد استعادت عافيتها وأمضت اليوم تساعد بريسكوت، وفي وقت مبكر من المساء أوصلت كل من آلين وجوهان إلى حفلتيهما المنتظرتين.. لكن مايسي لم تستطع أن تشعر بشيء من الإثارة لا للحفلة ولا لرأس السنة. فكلاهما كما يبدو مرتبطان بتخليص نفسها من لانس.. بعد تكاسل طويل في المغطس أدارت اهتمامها إلى ما سترتديه، واختارت أخيراً بنطلوناً واسعاً أصفر برّاق، مع قميص بلون القهوة.. ومشطت شعرها إلى الأسفل عابسة. وفي النهاية استدارت عن صورتها ساخطة.

وصل دون وستيلا باكراً وقدمتهما مايسي إلى لانس.. كان دون محبوباً لكنه خجول، وانتظرت مايسي بلهفة لترى كيف سيتفق مع لانس، تريدهما أن يعجبا ببعضهما.

كان الطابق الأسفل مشغولاً بالحفلة. بعض الضيوف دعاهم لانس، والبعض روي، والبعض الآخر أصدقاء مشتركين.. ودخلت مايسي وخرجت من وإلى الغرف، تبقي عينها على راحة المدعوين، تغير الشرائط المسجلة حين تتوقف الموسيقى.. كانت روزلين هناك طبعاً مع روي، لم تختلط كثيراً بل بقيت مع مجموعة أصدقاء، لاحظت مايسي بينها رأس دوللي الأشقر الناعم.. ووجدت مايسي نفسها تكلم رجلاً له صوت تعرفت عليه عبر الهاتف، المحامي جاك ماك افر بلهجته الاسكتلندية الجذابة.. كان مرحاً، وله طول يماثل طول مايسي لو كانت دون حذاء.. هكذا خلعتهما، وبعد قليل راقت الفكرة لبضع فتيات حذون حذوها.

مع فتح غرفة الطعام وتدفق الجميع إليها ليعودوا بأطباق مليئة بطعام بريسكوت اللذيذ، أمسكت ستيلا بمايسي:

ـ لا أظن أنني قادرة على الانتقاء بين الرجلين. لكنني أعتقد أن لانس يأتي أولاً.. إنه يذكرني ببطل قصتك، فوكس.. لكن خطيبة روي تجعلني أحس بالبرد.. إنها تبتسم بشكل بشع بينما عينيها تلاحقان كلما تفعلينه.

ـ لانس؟ يشبه فوكس؟ لا تكوني سخيفة!

وجدت عيناها لانس واستقرتا عليه وهي تفكر بفوكس:

ـ أوه.. يا إلهي! أظنك محقة ستيلا.. كيف اتفق هذا؟

ضحكت ستيلا ثم سألت:

ـ هل لهذه الشقراء حقوق ملكية بالنسبة له؟

نظرت مايسي إلى دوللي التي كانت تتحدث مع لانس بطريقة حميمة.. وردت بخفة:

ـ لها حقوق.. طبعاً.

كشرت ستيلا بخيبة أمل.

مع تقدم الأمسية، أصبح الجميع أكثر صداقة وتصاعدت موجات الضحك أكثر فأكثر.. وتدفقت القصص والنكات.. وأخذ روي مايسي إلى الردهة وبدأ يراقصها على وقع أنغام جذبت المتفرجين، ولم تنته إلا بعد أن أصبحا مرهقين. وجد جاك مقعداً لمايسي جلست فيه تلتقط أنفاسها.. كان لمعان الإعجاب في عيني جاك باروزاً، وتحدثا عن الكتب والمسرحيات.. كان كثير المجاملة لطيفاً، لكنه ليس كلانس.. بعد قليل اعتذرت مايسي وتركته مع إحساس بالذنب.

فيما بعد دخلت المطبخ حيث كان بريسكوت قد بدأ التنظيف، وقالت:

ـ المرطب والعصير ينفد.. أتعتقد أن علينا تحضير شيء احتياطاً؟

دخل بريسكوت غرفة المؤن لإخراج ما يلزم، ونظرت مايسي إلى كوميت الجالس متوتراً بسبب الضوضاء والناس.. وقالت له بإشفاق:

- لا بأس عليك.. غداً نعود إلى المعتاد.

رفعت رأسها وباب المطبخ ينفتح ودهشت لرؤية روزلين أمامها.

- أهلاً روزلين.. هل أقدم لك شيئاً؟

ردت روزلين وكأن الفكرة سخيفة:

- لا.. شكراً! أريد الحديث معك فقط.

سألت بعجب: نتحدث عن ماذا؟

قالت روزلين بصوت قاس محدد:

- عنك.. وعن روي. أظن أن عليك أن تعرفي مايسي أنني امرأة متملكة جداً وأكره أي شيء له علاقة بروي ولا يشملني.. لذا، أحذرك أنني يمكن أن أكون عدوة لا رحمة فيها ولا شفقة إذا لم أحصل على ما أريد. لذا يجب أن تتوقف تلك العلاقة مع روي.. كذلك اللقاءات السرية في مطعم «زيغفريد»..

فكرت مايسي بغضب: من أبلغها هذا.. لانس أم دوللي؟

- .. أو في أي مكان آخر.. هل تفهمين؟

ردت مايسي بحرارة:

- أعتقد أنني فهمت، روزلين.. وأنا أرفض بكل شدة ما تلمحين إليه!

- عزيزتي.. لا يهمني أبداً ما تشعرين به.. أنت لا أهمية أبداً لك بالنسبة لي.. أنا أحذرك فقط أن تبتعدي عن خطيبي وزوج المستقبل.

ابتسمت بقسوة:

- أنا لا أحب المشاركة.

مع أن مايسي كانت تعرف أنها تضيع أنفاسها فقد ردت بصوت متوسل:

- لا تفسدي صداقة دامت لأكثر من عشرين سنة روزلين.. فعلاقتنا صداقة فقط.. ألا تثقين بروي؟

ضحكت روزلين بنفاد صبر ورفعت حاجبيها الرفيعين.

- أنا لا أثق بأي رجل، وروي ليس استثناء. لكن إذا لم تستطيعي الفوز به بعد عشرين سنة، فأنت لا تمثلين الكثير من الخطر الآن.. صحيح؟

- إذن لماذا تزعجين نفسك بقول كل هذا؟

- لقد قلت لك، لا أحب المشاركة.

استدارت على عقبيها لتخرج، ثم وقفت:

- أنت تتمتعين بدور المضيفة الليلة، أليس كذلك؟ لو كنت مكانك لتمتعت إلى أقصى حد فلانس مرتبط!

كورت شفتيها وخرجت.

خرج بريسكوت من غرفة المؤن وأغلق الباب وراءه:

- لقد حصل روي على حظ سيء.. أقول لك. عرفت هذا لحظة رأيت يديها.. لها يدان شريرتان.

نظر إلى مايسي مفكراً:

- آسف، لكنني لم أستطع منع نفسي عن الاستماع.. سيدة سخيفة شريرة. ابقي بعيدة عن طريقها قدر المستطاع.. إنها خطرة.. أوه.. أجل.. يمكنك الابتسام، أنت كثيرة الثقة بالناس. والآن أين يريد الحاكم أن يضع هذه؟

رفضت مايسي أن تترك روزلين تفسد جو الحفلة لها، فانضمت إلى جاك ماك آفر الذي كان له أصدقاء في نيويورك وتبادلا ذكرياتهما. ولاحظت عيني لانس عليها بين حين وآخر، لكنها لم تهتم.. لقد فاض بها الكيل من رجال أسرة بلايوود.

قال جاك:

ـ أيمكن أن أتصل بك في وقت ما مايسي؟ يمكننا الخروج لتناول الطعام أو المسرح.. أنا لست أدوس على أصابع قدم أحد.. أليس كذلك؟ لانس مثلاً؟

احمر وجهها قليلاً، وقالت بثبات:

ـ بالتأكيد لا.. لماذا تقول هذا؟

هز جاك كتفيه وابتسم:

ـ لدي إحساس أنه يضع عينه عليك.

ـ لقد اكتسب هذه العادة ونحن صغار، ولم يستطع التخلي عن عادته.. لا.. لقد ترددت في الإجابة لسبب آخر.. سأكون مشغولة جداً في الأسابيع القادمة.

قال يحاول إقناعها:

ـ لا أحد يمكن أن يكون مشغولاً إلى هذا الحد، ويجب أن نتناول الطعام في وقت ما.

ابتسمت معترفة: أعتقد هذا.

ـ إذن.. أستطيع الاتصال بك؟

هزت رأسها قبولاً، فتراجع إلى الوراء مكتفياً.

استقبل العام الجديد بالتحيات والتمنيات، وبالتدريج بدأت الحفلة تتلاشى.. أدخل بريسكوت القهوة وجلس من تبقى من الناس في حلقات.. وبدأ لانس يعزف البيانو بنعومة، ووجدت مايسي وستيلا مقعداً على السلم، لتقول مايسي بشيء من الحزن وعيناها تستقران على لانس:

ـ عام آخر مضى.

لحقت ستيلا نظرة مايسي باهتمام، ثم همست لها:

ـ أظن أنني وجدت من يحل مكانك.. إنها أرملة في الخمسينات، لديها سيارة وتعيش في آشويل.. لا تريد أن تعيش في المنزل، لكنها على استعداد أن تبقى لو دعت الحاجة، كتب التوصية بها جيدة.. سجلت

اسمها ورقم هاتفها.. يمكنك الاتصال بها بنفسك.

وأعطتها قطعة ورق مطوية: شكراً ستيلا.

صمتت ستيلا لحظات وعيناها تنتقلان بتفكير عميق ما بين مايسي ولانس.. ثم قالت:

ـ أنت لا تريدين ترك المكان.. أليس كذلك مايسي؟

هزت مايسي كتفيها وقالت بقليل من نفاد الصبر:

ـ لا أستطيع البقاء إلى الأبد.

ـ والسبب لانس.. أليس كذلك؟

نظرت إليها مايسي مذعورة، ثم دفنت وجهها بين يديها.

ـ بحق الله ستيلا! هل يبدو هذا واضحاً عليّ؟

قالت الصديقة ملاطفة:

ـ لا.. لا.. حقاً.. ليس هكذا. الأمر فقط أنني كنت أرغب في لقاء لانس منذ زمن طويل.. كنت أشعر بفضول لأعرف شكله وكنت أعي ردة فعلك نحوه.. ولا أظنك نظرت إليه مرة واحدة كما يجب طوال السهرة.. ومنذ قليل سمحت لنفسك بهذه اللذة وضبطتك في وقت لم تكوني فيه حذرة.. عزيزتي، أنا واثقة أن لا أحد.. يشك في هذا.

قالت مايسي متجهمة: أتمنى أن تكوني محقة.

ـ هل الأمر ميؤوس منه؟

ضحكت مايسي ضحكة قاسية.

ـ رأيه بي سيء ستيلا، وكان هكذا دوماً.. ثم هناك دوللي وودز..

وهزت كتفيها.

توقفت عينا ستيلا على لانس الذي كان يعزف البيانو ويشد أصدقاءه حوله ليشاركوه الغناء.. ثم قالت:

ـ كل ما أستطيع قوله إنك إذا لم تنظري إليه طوال الأمسية فهو كان يُبقي عينيه باستمرار عليك.

دست أصابعها في شعرها ولون أحمر خفيف يتسلل إلى وجهها . .
حاولت جاهدة أن ترد بكلمات مناسبة :

ـ أجل . . فهناك تجاذب بيننا . . ولقد تطور بطريقة ما مؤخراً . . أعني، أنني أعرف أن هذا موجود من جهتي، لكنه بالنسبة لي أكثر من مجرد هذا. بالنسبة له، أعتقد أنه منجذب إليّ بالرغم من عدم موافقته عليّ، كما أنه يعتقد أن في نفسي هيام كبير بروي، ويستمر في إلقاء المحاضرات بهذا الخصوص .

ضحكت بمرارة . . وسألت ستيلا :

ـ ماذا قال حين أبلغته أنك ذاهبة؟

رفعت مايسي كتفيها دونما اكتراث :

ـ أخذ المسألة بهدوء كأمر واقع . . وهو على الأرجح يحس بالراحة في أعماقه .

عبست متنهدة :

ـ لا يمكنك معرفة ما يفكر به حقاً . . إنه على قدر كبير من ضبط النفس . . حتى أنه يدفعني إلى الجنون!

قالت ستيلا :

ـ إنهما مقربان جداً . . لانس وروي أعني . . أليس كذلك؟ . . إنهما كالأخوة . . أعني لو أن لانس أحبك، واعتقد أنك تحبين روي . . فلن يتقدم إليك . . أليس كذلك؟

ردت مايسي بغضب :

ـ لكنني لم أحب روي يوماً . .

ـ حسناً . . لكن لماذا يظنك لانس تحبينه؟ الآن، وقد خطب روي روزلين . . فهذا يترك الميدان خالياً . . المسألة هي، بأية شروط تريدين لانس؟

ردت مايسي بهدوء : لا أعرف .

صاح روي من قرب البيانو :

ـ هاي . . مايسي . . تعالي وشاركي في الحفلة!

وقبل أن تدرك ما يحدث، أخلي لها مكان على كرسي البيانو بين روي ولانس، ودفعت إلى هناك بين الهرج والمرج والضحك من الجميع .

بدأ روي الأغنية : سنركب الدواجة . .

أكملت مايسي :

ـ لكن لا دراجة لدينا . .

أضاف لانس بصوته الأجش :

ـ لكن السيارة تنتظر في النادي . .

ومع إكمال الأغنية الشعبية المرحة، ثم انتهائها وسط الهتاف والتصفيق، رأت أن هناك ضيفان غير راضيين . . روزلين ودوللي . كلاهما كانت تبتسم بشفتيها، وترسل رسائل بعيدة جداً عن الود بعينيها . . أبعدت نفسها عن المقعد . . لقد آن لها أن تبتعد .

بدا المنزل هادئاً بعد إغلاق الباب الأمامي خلف آخر الضيوف . . كان بريسكوت قد ذهب إلى فراشه منذ وقت طويل . . ونظرت مايسي إلى أكوام الطعام والشراب المنتشرة في كل مكان . . والتقطت طبقاً من على السلم لتأخذه إلى المطبخ . . حين عادت كان لانس يقف قرب البيانو وأحد أصابعه يعزف لحناً .

لقد انتهت الحفلة . . وحان وقت الراحة . .

رفع لانس رأسه وساو نحو الردهة . . وقالت مايسي متوترة :

ـ لقد أخرجت كوميت وعدت به . . طلب بريسكوت أن نترك التنظيف إلى الصباح . . كانت حفلة جيدة . . أليس كذلك؟

هز لانس رأسه ببطء وعيناه على وجهها تطوفان عليه وكأنهما ترسمان صورة لها . كتمت أنفاسها وأحست باللون الأحمر يتصاعد إلى وجهها، لكنها أبقت العينين الزرقاوين على عينيها، وهدوء غريب يستقر في

داخلها.

ـ لماذا تنظر إليّ هكذا.. لانس؟

ابتسم ببطء وكسل:

ـ لأن هذا يجعلني مسروراً.

زاد عمق لون خديها ووجدت أنها ترتجف فأخذت نفساً عميقاً.. ثم ضحكت بنعومة:

ـ أظن هذا مديحاً.. ألم يكن بالإمكان أن تقول لي هذا في بداية الأمسية؟

تقدم خطوتين نحوها، حتى اضطرت إلى رفع رأسها لتنظر إلى وجهه:

ـ صدقيني.. حمراء.. تبدين.. جميلة الآن أكثر بكثير.

رفع يده بلامس شفتيها:

ـ رغم زوال أحمر الشفاه وأنفك اللماع، وظلال التعب تحت عينيك.. لكنني كنت أستطيع أن أقول لك منذ البداية، أن هذا اللون الأصفر يجعل عينيك بصفاء «التوباز».

تحركت يده إلى شعرها ليلف خصلة منه حول إصبعه، ثم تركه.

ـ لا أعتقد أنني تمنيت لك سنة جديدة سعيدة، حمراء.

ارتجفت رموشها قليلاً.. لكن عينيها، وبالرغم من حذرهما، لم تتحركا عن عينيه وهي تقول:

ـ ربما كنت تنتظر إلى النهاية.

انفرجت شفتاه:

ـ أوفر الطبق الشهي المختار.

ولمعت عيناه الزرقاوان بالتسلية.

ـ عام سعيد حمراء.

ولفتها ذراعاه في عناق شديد.

من السهل إشعال فتيل قنبلة.. لكن البقاء ممسكاً بها أمر مختلف تماماً.. وحاولت مايسي التمسك بالتعقل.. لكنه لم يكن فعالاً أمام الاندفاع المبتهج الذي اجتاحها.. كان لانس قد عانقها من قبل، غضباً أو سخرية. لكن لا شيء حضرها لهذا... وبادلته عناقاً بعناق..

أخبرته مايسي بتصرفها هذا أكثر بكثير مما كانت تنوي.. كانت تظن نفسها قادرة على السيطرة على نفسها.. لكنها أحست بالضياع. المشكلة مع الأحلام أنها تدفع المرء إلى الإيمان أنها واقعية.

تمتم لانس والضحك في صوته:

ـ قلت لك إن هذا سيكون بهيجاً.

وأبعدها عنه بمسكها لحظات بيديه وهي تستعيد توازنها.

هل ستتمكن من صعود هذا السلم اللعين دون أن تظهر حماقتها؟ كيف يمكنه أن يحشو هذه الكمية من الخدر في عناق واحد ثم يقف هكذا دون أن يبدو عليه أي تضرر؟ هل تخيلت ضربات قلبه المتسارعة؟ ربما تكون ضربات قلبها هي..

قالت لنفسها بخشونة: تمالكي نفسك أيتها الحمقاء!

وردت بخفة:

ـ وهو هكذا، أليس كذلك؟

مدت يدها تعيد خصلة شعر من على جبينه إلى الوراء، ثم أنزلت أصابعها إلى شفتيها وقبلتها، ثم وضعتها بلطف على شفتيه.. وقالت بابتسامة أملت أن تبدو واثقة:

ـ تصبح على خير لانس.

واستدارت تصعد السلم. تركها تصعد ثلاث درجات ثم قال لها:

ـ قالت لي ستيلا إنها وجدت بديلة عنك.

استدارت تنظر إليه بذهول ثم استعادت وعيها:

ـ أوه.. أجل.. أعتقد هذا.

ـ آمل أن تكون متعقلة . . هه؟ لا بد أنك مسرورة لابتعادك عنا جميعاً .

بدا لها جاداً تماماً . . كيف يجرؤ على عنائها هكذا ثم يبحث بهدوء مسألة رحيلها؟

أكمل :

ـ لكن لا بد أن نراك أحياناً؟ أنت لن تعتزلي الناس . . أليس كذلك؟ سيفتقد الولدان إليك . . على أي حال، سنتقابل جميعاً يوم العرس .

صمت قليلاً، ثم أضاف وكأنها نسيت عرس من :

ـ عرس روي وروزلين .

كان هذا كحلم رأته من قبل . في الحلم كانت فوق مسرح ضمن تمثيلية . ولم تكن تعرف ماذا يجب أن تقول ولا دورها في الرواية، مع ذلك كان الجميع لطيفاً . . يبدو أنها ولانس يمثلان دوراً في مثل هذه المسرحية التي فيها عدد كبير من الممثلين، ولها على الأقل ثلاث نهايات مختلفة . .

استدارت :

ـ أجل . . بالطبع . . في العرس .

ثم عادت لتصعد السلم بثبات دون أن تنظر إلى الخلف، وصوت لانس يلاحقها . . وصلتها تحيته من بعيد وهو يرفع يده :

ـ تصبحين على خير . . حمراء .

٨ ـ نصف حية . . نصف ميتة !

ـ حمراء؟ أنا لانس .

قفزت مشاعر مابسي لسماع صوته وقالت بهدوء متصنع :

ـ مرحباً لانس . . كيف حالك؟

بعد إنهاء التحيات والمجاملات، قال لانس :

ـ كنت أتساءل إذا ما كنت تحبين الذهاب معي إلى «باربيكان هول» يوم الجمعة !

ـ أيمكن أن تنتظر لأتأكد؟

لن تستطيع أن تعلن أنها على استعداد للتخلي عن كل شيء يشغلها لمجرد أن تكون معه . . فلا زال لديها بعض الكرامة .

ـ أجل . . أنا لست مشغولة يوم الجمعة . . وسأحب أن أكون معك لانس . . وشكراً لطلبك هذا . ما هو البرنامج؟

ـ دعيني أرى . . غرايغ . . برليوز . . تشاكوفسكي . . لن يكون لدي وقت لآخذك كما أخشى، أيمكن أن تأتي وحدك؟ سأعيدك إلى البيت طبعاً . لنقل، في السابعة والربع، في المقهى الأعلى . . أراك يوم الجمعة حمراء، وداعاً .

وقفت مابسي وابتسامة سخيفة على وجهها . . يا ليوم الجمعة الجميل، الجميل! كتبت اسم لانس بالقلم الأحمر على المفكرة وعادت إلى طابعتها خائفة من أفكارها . . لم تحاول العمل . . أراحت ذقنها على

بديها واضعة ذراعيها على حمّالة الطابعة. لم تكن قد رأت أو سمعت من لانس شيئاً منذ حفل العرس قبل ثلاثة أسابيع خلت..

ولم تندهش مايسي لرؤية دوللي في العرس تقضي معظم اليوم قريبة من أنجيلا بلايوود، التي بدا أنها أخذت دوللي تحت جناحها.. وهذا أمر له مغزى خطير!

كان لانس هو شاهد العريس، وأعادت إليها رؤيته يقف إلى جانب روي في الكنيسة الشوق القديم وعدم الأمان.. بدت روزلين متألقة وهي تسير في الكنيسة مستندة إلى ذراع أبيها.. وكان رد الفعل العام أنهما «زوج رائع».

تقدم لانس من مايسي يقول دون تحية:

ـ أين كنت بحق السماء حين التقطت الصور؟ كان يجب أن تكوني ضمن مجموعة بلايوود.

رفعت حاجبيها:

ـ أنت إما أعمى أو ساذج، إذا ظننت أن وجهي في أية صورة قد يسعد روزلين!

صمت وعرق ينبض على خده.

ـ المصور هنا الآن ولسوف يأخذ صوراً غير رسمية.. أريدك أن تكوني فيها.. مفهوم؟

ردت منخاذلة: أجل.. لانس.

نظر إليها طويلاً بشفتين مضمومتين:

ـ كيف حالك حمراء؟

ابتسمت:

ـ بخير لانس.. شكراً لك. هل السيدة سالمون كفؤة؟

ـ هذا ما يبدو.. لقد أعجبت آلين.. كما أنها سكرتيرة جيدة.

نظرت مايسي حولها وقالت بصوت متأثر:

ـ لقد رأيت ثلاثة أعضاء من البرلمان، واثنان من النبلاء، وعلى الأقل مليونير واحد هنا. لا بد أن هناك كثير من الضيوف المميزين لم أعرفهم لجهلي.. أشعر أنني القريبة الفقيرة..

وابتسمت ساخرة.

قال والتسلية تتغلب على انزعاجه السابق:

ـ لا تبدين هكذا.

قيّم بذلتها الرمادية باكسسوارها الأحمر، واستقرت عيناه على القبعة الحمراء المركزة بأناقة على شعرها المرفوع.

ضحكت:

ـ لقد رأيت العمة أنجيلا تجفل لدى دخولي الكنيسة.. لكنني معتادة على سخطها مني.

صمتت قليلاً ثم أكملت بتصنع ظاهر:

ـ أنت تبدو جميلاً اليوم لانس.

والتقت عيونهما.

رد لانس على هذا المديح قاطعه وصول دوللي، التي ابتسمت لمايسي ثم دست ذراعها بذراع لانس.

ـ روي يريد معرفة ما إذا كانت مفاتيح سيارته معك لانس.. لقد بدأ يذعر.

ـ إذن يجب أن أذهب لأطمئنه.. أعذريني حمراء.

وترك دوللي تبتعد به.. راقبتهما مايسي يبتعدان.. وخبا الإحساس الذي تصاعد في نفسها بأنها حية وأن كل عصب من أعصابها يغني خلال تبادل الكلمات بينها وبين لانس.. فهل كانت نصف حية من دونه؟

غادرت الحفلة قبل انتهاء الاستقبال دون أن تتكلم مع لانس..

وصل يوم الجمعة.. ممطراً كثير الرياح.

خرجت مايسي من محطة المترو تحت الأرض تحني رأسها أمام

المطر مسرعة نحو «باربيكان سنتر» وكعبا حذائها بطقطقان على الرصيف.. ما إن دخلت عبر الأبواب حتى غمرها الدفء وأخفضت يافة المعطف، وخلعت القبعة العريضة.. تقدم لانس من بين الجمع، وقالت له:

ـ مرحباً لانس.. يا لها من ليلة!

ابتسم:

ـ إنها ليلة درامية.. أليست هكذا؟ دعيني أخلع لك معطفك.. لقد طلبت لك الشاي.

ـ شكراً لك.

حين عاد إليها من إيداع المعطف، نظر إليها مقيّماً:

ـ كيف حالك حمراء؟ لم نرك أبداً مؤخراً.. أرجو أن لا تكوني تنوين هجرنا نهائياً؟

ـ بالتأكيد لا.. لكنني كنت مشغولة.

لمع ومبض حاد في عينيه وهو يرد:

ـ لكنك لست مشغولة جداً لتقابلي جاك ماك أثر.

نظرت إليه بوقار:

ـ لا.. وهو دائماً يبلغني بآخر أخبارك.

رفع يده ليبعد خصلة من شعرها إلى الوراء. وتمتم:

ـ مسكين جاك.

تعالى صوت فوق الضجيج يعلن قرب بدء الحفلة الموسيقية، ووضع لانس ذراعها في ذراعه.

ـ حان وقت جلوسنا في مقاعدنا.. هل تشعرين بالبرد؟ أنت ترتجفين.

أدارت رأسها تلتقي عينيه:

ـ أجل.. أرتجف.. لكنني لست بردانة.

ابتسمت فأطبقت يده فوق يدها دون أن يتكلم.

كانت الأمسية كالسحر.. تركت مايسي الموسيقى تسحرها، وهي تعرف أن جزءاً من ذلك السحر سببه وجود لانس إلى جانبها، ذراعه تلامس ذراعها، يتشاركان النظرات، وهما يتمتعان بالموسيقى معاً.. وكأن الكلمات غير ضرورية أبداً بينهما.

كانت موسيقى تشايكوفسكي مسك الختام. وخرجا مسحورين بأنغامها إلى الشارع، ثم ضحكا معاً وركضا إلى السيارة.. داخل الجاغوار، تلاشى الضحك ونظر لانس إلى وجهها متفحصاً.. قبل أن يميل إليها ويعانقها.

تمتم:

ـ جميلة.. مثيرة.. حمراء! كنت أرغب أن أعانقك طوال الأمسية..

تدحرجت نقطة مطر من قبعتها إلى يده لتكسر سحر اللحظة..

قالت:

ـ لانس؟

قال فجأة:

ـ دعينا نذهب.

جلست جانبياً في المقعد كي تستطيع النظر إليه تتمنع بأن تتمكن من هذا.. كان يعرف أنه تحت المراقبة، وكان ينظر إليها بين حين وآخر.. كانت تلك النظرات تثيرها، ففي طريقة نظر عينيه إليها شيء غامض.. وجلست، لا تكاد تجرؤ أن تصدق أنه فعلاً دعاها بالجميلة.

حين فتح لانس باب شقتها أخيراً، تحركت بسرعة إلى الداخل لتشعل مدفأة الغاز وتضيء مصباحي طاولة صغيرين.. ثم استدارت شاعرة بالتوتر بينهما، وهو يقف يراقبها.

قالت بشيء من العجز:

ـ إلى أين نتجه.. لانس؟

استرخى وجهه وابتسم.. تقدم نحوها يخلع معطفه وسترته ويرميهما

فوق ظهر كرسي. أمسك معطفها يخلعه عنها ويرميه فوق معطفه:

ـ هذا يتوقف عليك.. حمراء.

ـ أوه؟ حقاً؟ يتوقف على ماذا؟

رفع يديه إلى شعرها، يجمعه جانباً على مؤخرة عنقها..

وكررت بصوت يكاد لا يسمع: على ماذا؟

ـ على ما إذا كان عليّ أن أخطف يدك اليمنى.

ارتجف فمها تقاوم الابتسام.. كبحت نفسها لحظات إلى أن وقض الضحك أن يبقى مكبوتاً أكثر، فانفجرت تقهقه بسعادة.. رفعت يدها اليمنى لتمررها على عنقه، تدسها في شعره المبلل المتجعد من المطر..

وقالت بصوت عميق أجش:

ـ ربما سيكون من الأفضل.. لو طالبت بها.

رفع رأسه:

ـ على أساس الأمان أفضل من الندم؟

أحست بدفء أنفاسه على بشرتها.. للحظات طويلة تفحص وجهها، دون أي دليل تردد.. ثم رفع حاجبيه يسأل: حمراء؟

رفعت مايسي يدها الأخرى إلى وجهه، ومررت يديها بخفة على تقاسيمه.

أحست بقلبه يضرب بسرعة وهي تنضم إليه وتعانقه بشدة.. فجأة أبعدها عنه بحزم قائلاً بخشونة:

ـ يا إلهي حمراء.. لقد أردت أن أضمك هكذا منذ زمن طويل!

تركها إلى المطبخ ليحضّر الشاي، ثم عاد ليضعه على طاولة صغيرة.

ـ آسف حمراء.. يجب أن أذهب الآن.. هناك أشياء كثيرة يمكننا أن نتحدث عنها، لكنها يجب أن تنتظر. سأتصل بك مساء الاثنين، هه؟

تمتمت:

ـ ظننت أنني أحلم بكل هذا.

ضحك:

ـ أنا سعيد لأنك لم تكوني تحلمين.

تكورت فوق الصوفا.. ثم تذكرت فجأة أنها لم تقل له بعد إنها مسافرة إلى فرنسا يوم الثلاثاء لرؤية أمها ووايد.

أمضت نهاية الأسبوع مذهولة.. دعيت إلى الغداء عند ستيلا وكانت بهجتها ظاهرة حتى لاحظتها ستيلا على الفور، وحين أصبحنا وحدهما سألتها بلهفة:

ـ حدث شيء ما.. أليس كذلك؟

ابتسمت مايسي حالمة:

ـ أوه ستيلا.. أليست الحياة رائعة؟

ـ لانس؟

هزت مايسي رأسها:

ـ لا أجرؤ على الحديث ستيلا.. لا زالت المسألة جديدة.. لكنني سعيدة جداً.

* * *

حين دخلت دار بلابوود للنشر صباح الاثنين، قال روي:

ـ هذه مفاجأة.. ما أروع رؤيتك!

استدار حول منضدته يستقبلها وعلى وجهه دلائل السعادة. وضع يديه على كتفيها:

ـ أتدركين مايسي أنني لم أرك منذ الزفاف؟ وهذا وقت طويل.. في الواقع لا يبدو أن أحداً شاهدك مؤخراً.

عانقها بخفة، وتركها ليحضر لها كرسياً..

ـ أين تخبئين نفسك؟

ـ كنت مشغولة.. كيف حال الجميع؟

وأسندت حقيبة أوراقها إلى الكرسي.

كانت تعرف حال لانس، فقد اتصل بها صباحاً يقول إنه يريد سماع صوتها ومعه دقيقتين فقط بين موعدين.. وكان هذا كافياً لتتذكر رحلتها إلى «بوردو» لكنها لم تتذكر إلا بعد أن ابتسمت لسماعة الهاتف وهي تردها إلى مكانها.

كان روي يقول:

ـ كلنا بخير. لقد بدأت روزلين تعيد ترتيب منزلنا، ونحن نستقبل الضيوف باستمرار، ولقد اكتشفت أنها منظمة رائعة.. الآن وقد ظهرت، يجب أن تزورينا، تعالي لتناول الطعام، أو الأفضل أن تبقي لعطلة الأسبوع، اتصلي بروزلين ورتبي الموعد معها.. أعتقد أنك تعرفين أخبار «بريدون هاوس»؟

ابتسمت: آلين تتصل بي دوماً.

نظر إلى ساعته.. ثم قال:

ـ آسف.. لكنك جئت في وقت حرج مايسي.. أتوقع شخصاً في أية لحظة الآن.. لكن يمكن أن نتكلم، هل رأيت لانس مؤخراً؟

كان ترددها قصيراً:

ـ في حفل زفافك.. أخبرني عن فينيسيا!

فعل روي هذا بحماس.. بعد قليل عاد ينظر إلى ساعته مجدداً، وقال:

ـ أعذريني مايسي..

وضغط على زر الهاتف الداخلي وقال متوتراً:

ـ ألم يحضر بعد أريكا؟

وقطب لرد الفتاة.

ـ حسناً.. أعلميني عندما يصل.. أتسمحين؟

نظر إلى مايسي باعتذار.. فقالت ممازحة:

ـ أنت كقطة فوق صفيح ساخن روي. هل تتوقع وصول شخص مهم

جداً؟ شخص ما أعرفه؟

فتح يديه عاجزاً:

ـ لا أحد يعرفه! إنه رجل «كودنايم فوكس» م. ن. ويرنر.. لقد أقنعته أننا يجب أن نلتقي. على الأقل، ظننت أنني أقنعته. لكنه فرا! اللعنة على الرجل! هل هذه زيارة اجتماعية مايسي.. أم أستطيع أن أساعدك بشيء؟

ردت مشفقة عليه:

ـ أعتقد أن بإمكاننا مساعدة بعضنا.

رفعت حقيبة أوراقها وسحبت منها مخطوطة كتابها، ورمتها أمامه على المنضدة.

ـ أنت بانتظار هذه.

نظر إليها ببلاهة: حقاً؟

مرت عيناه على العنوان: «فوكس أون ذاروكس» بقلم م.ن. ويرنر.. لكن دماغه لم يسجل شيئاً.

رفع رأسه يسأل بصوت مرتبك:

ـ كيف وصلت إليك بحق السماء؟ هل تعرفين الرجل؟

حين لم ترد وتغير تعبير وجهها من الوقار إلى شيء من المشاكسة.. نظر مجدداً إلى المخطوطة ثم إليها مجدداً.. وأخذ الفهم يحل عليه بالتدريج، وقال غير مصدق:

ـ أنت؟ أنت م. ن. ويرنر؟ لا أصدق!

جلس صامتاً لحظات.. ثم:

ـ بلى.. أصدق. يا إلهي..! لماذا لم تقولي لي من قبل.. أيتها الفتاة الشريرة!

ابتسمت مايسي.. أرضتها ردة فعله كثيراً وقالت ببساطة:

ـ خشيت أن يرفضها.

ـ لكن . . أبعرف أحد بهذا؟

ـ أمي، وايد، وشريكتي ستيلا وزوجها.

ـ ولانس؟

هزت رأسها نفياً ووخزة ندم تنطلق في داخلها: كان يجب أن أقول له قبل روي!

قال روي:

ـ انتظري ليسمع أبي بهذا وروزلين! مايسي حبيبتي . . أنت رائعة!

وقف عن كرسيه واستدار حول المنضدة يمسك كلتا يديها بيديه.

ـ أتعرفين أن سبب طلبي رؤية الرجل هو أنني أردت بحث مسألة النشر في أميركا؟ أنت يا فتاتي انطلقت بنجاح صاعق، وإذا كانت هذه جيدة مثل الأولى . . فستضحك كثيراً.

ابتسمت متأثرة بحماسه:

ـ عظيم . . روي . . هناك مسألة واحدة . . أيمكن أن تبقي هويتي سراً لفترة قصيرة. أرجوك! أتعدني؟

هز كتفيه:

ـ جيد جداً! لقد كان سراً طوال تلك الفترة ويمكن أن يبقى هذا إلى فترة أطول . . والآن . . أيمكنني أن آخذ م . ن . وبرنر إلى الغداء؟

ـ ولمَ لا؟ شريطة أن أكون حاضرة.

* * *

كانت توضب حقيبتها ذلك المساء حين رن جرس الباب . . ربما القادم لانس يزورها بدل الاتصال بها! ركضت إلى الردهة وفتحت الباب . . فدخل روي أمامها إلى الداخل قائلاً:

ـ لقد قرأتها مايسي . . إنها جيدة. لقد فعلتها مرة أخرى . . أيتها الفتاة المذهلة!

جلس يضع المخطوطة على الطاولة:

ـ لقد جلست لأقرأها حين عدت إلى المكتب ولم أستطع تركها! هذا الرجل «فوكس» سيجعل كل النساء تقع في غرامه . . والرجال أيضاً! في الواقع بدأت أشعر بالغيرة منه.

ضحكت مايسي:

ـ بالتأكيد لا روي! لماذا تجلس هكذا مرتاحاً؟ أنا وسط توضيب حقائبي.

ـ هناك شيء أو اثنان أردت مناقشتهما معك الآن وأنا هنا، ألا يمكنك توفير نصف ساعة لي؟

صفقت يديها:

ـ أوه . . حسن جداً. أعتقد أنك قد تحتاج إلى القهوة.

أحضرت فنجانين لهما ثم جلست تستمع:

ـ هناك أمر هنا . . قد يكون هذا الإهداء مربكاً للانس.

ارتفع اللون على خديها: لماذا؟

دعك جبهته:

ـ إنه موقف دقيق . . ويجب أن تريه مايسي! بالتأكيد عرفت بأمر لانس ودوللي؟

ارتشفت قهوتها، وأكمل روي:

ـ قدما إلى العشاء عندنا ليلة أمس . . وبدا من الواضح أن أمراً ما ينتج عن هذه الصداقة . . إنهما يريان بعضهما منذ أشهر . . لذلك قد تتأثر دوللي بإهدائك الكتاب إلى لانس.

لقد قال لانس لها إن الأمر قد يكون مرحاً . . وهذا ما كان . . وسيبقى هكذا إلى أن يخرجها نهائياً من نفسه.

ـ أتعني أن دوللي قد تعتقد أن صداقتنا . . أنا ولانس . . قد تكون أكثر مما يستدعيه لقب ابن الخالة؟

لمعت عيناه:

ـ أنا أعرف أن هذا سخيف.. لكن دوللي قد لا تعرف.

وقفت مايسي وسارت في الغرفة بقلق.. تحاول التعقل:

ـ كودنايم فوكس كان إهداؤه لأمي.. ولأسباب واضحة.. أما لانس، فقد ظننت أن «فوكس أون ذاروكس»، يمكن أن يكون طريقة لطيفة في قول «شكراً» له ولسماحه لي باللجوء إلى منزله متى شئت.. إنه.. لقد قال.. إنه معجب بطريقة كتابتي مع أنه لم يكن يعرف أنه يتكلم عني.

ـ همم.. حسناً.. لست أدري مايسي..

ـ أترك الأمر الآن روي، كنت سأطلب الإذن منه.. لكنني سأفكر بالأمر قبل أن أفعل.. فما رأيك؟ هل نتناول المزيد من القهوة قبل أن تذهب؟

نظر إلى ساعته وهز رأسه على مضض:

ـ لا.. لا وقت عندي.

وقف ليمسك يديها:

ـ أنا سعيد بكتاباتك مايسي.. لطالما عرفت أنك ستفعلين شيئاً خارجاً عن المألوف، وأنا فخور بك.

قبل خدها ثم تراجع مكملاً:

ـ ستبقين دائماً مميزة لي.. وتعرفين هذا. أليس كذلك؟

دفنت مايسي وجهها في صدره، ، فقال ممازحاً:

ـ لطالما كنت عاطفية.

أمسك ذقنها يرفع وجهها وينظر إليها.. ثم ضحك قبل أن يعانقها مجدداً، كان عناقاً خفيفاً، لكن يديه تحولتا بسرعة إلى الجد.. وضغطت كفيها على صدره، تضحك ولونها محمر:

ـ هاي! لا تدعنا نتجرف.. أنا لست مرشحة لجائزة نوبل للأدب!

ضحك روي ونظرة غريبة على وجهه ثم لمس خدها بقبضته:

ـ اعتني بنفسك.. سأتصل بك.

أغلقت الباب خلفه، واستندت إليه مضطربة.. ما الذي دعا روي ليعانقها هكذا؟ غطت وجهها بيديها تستجمع رباطة جأشها.. لماذا الحياة معقدة هكذا؟ رن جرس الباب مجدداً فتنهدت وهي تفتحه.. تقول دون وعي:

ـ حسناً.. ماذا نسيت؟

لكنها شهقت مجفلة، وصاحت:

ـ لانس؟ هذا جميل..! كنت أنتظر مخابرتك.. لكن هذا أجمل بكثير..

توقفت عن الكلام بعد أن لاحظت قسمات وجهه.. بدا مريضاً بشكل يائس.. فقالت بسرعة ولهفة:

ـ لانس.. هل هناك شيء خاطىء؟

قال ببطء:

ـ رأيت لتوي روي يخرج من عندك.

ـ أجل.. لقد حضر إلى هنا دون موعد مسبق.

ـ هل ستدعيني أدخل.. أم أن الثنان من أسرة واحدة أمر كثير عليك؟

أعادتها السخرية الثقيلة إلى الحياة. وفهمت، أدركت أنه غاضب.. وأن غضبه مكبوت تحت سيطرته الخانقة على نفسه.

قالت بثبات:

ـ ما الذي تعنيه بهذا؟

ـ كان يجب عليك إغلاق الستائر قبل أن تنغمسي في عناق حميم مع رجل متزوج.

استدار على عقبيه بعنف ليقفل الستائر.

ازداد عمق اللون على خديها.. كان في ذلك العناق ما يكفي لكي تشعر بالذنب.. ليس للعناق بحد ذاته، فلم يكن ذلك من صنعها، لكن لإساءة الحكم على روي.. قالت بصوت منخفض:

ـ ألست تقفز إلى استنتاجات خاطئة لانس؟

ـ أنا محامي حمراء.. تذكري هذا! هل أنكر الدليل الذي رأيته بعيني؟ أي نوع من البلهاء تظنيني؟ لقد دخلت بين ذراعيه وكأنك معتادة على هذا.

ردت بحذر:

ـ ولمَ لا؟ لقد كنت مقتنعاً منذ زمن طويل أنني وروي حبيبان.. لذا ما كان يجب أن يفاجئك هذا.

ساد صمت مصدوم، وشد لانس قبضتيه ثم قال بجهد:

ـ أتعترفين بهذا؟

رفعت حاجبيها بمبالغة:

ـ أعترف بماذا؟ أن روي عانقني؟ لقد رأيت أنه فعل.. وهناك عناق وعناق.. طبعاً..

كانت تلعب بالنار، لكنها لم تعد تهتم. لقد انهار كل شيء على أي حال.. فماذا يهم؟

ـ وهل عانقت أنت دوللي مساء أمس؟

قطب لانس فأكملت ساخرة:

ـ ليلة أمس.. حين أوصلتها إلى بيتها.. أعتقد أنك أخذتها إلى بيتها؟ ربما أحسست أنني قد أقفز إلى بعض الاستنتاجات لو قلت لي إنك كنت تتعشى معها في منزل روي؟

ابيضّ وجهه:

ـ لأجل السماء حمراء! لم أقل شيئاً لأن هذا لم يكن مهماً!

ـ أراهن أنه مهم لدوللي.

ـ حاولت التهرب.. لكنني لم أستطع.. أعتقد أن روي لم يقل لك إن والد دوللي ووالد روزلين، كانا مدعوين كذلك إضافة إلى مستشار للملكة وزوجته.

قالت ساخرة:

ـ يا له من اجتماع مميز.. كل هذا باسم الواجب.. رائع.. يجب حقاً أن تتزوجها لانس، ستكون عوناً كبيراً لك.

ـ أنا لم أنو يوماً أن أتزوجها.. اللعنة!

ـ من المفترض أن أصدق هذا.. أليس كذلك؟ يجب أن تكون الثقة دائماً في صفك!

تفجر كل غضبها وارتجف صوتها به:

ـ هذا ما يعيدنا إلى روي.. بإمكانك الظن بما تريد به.. فهذا ليس من شأنك اللعين!

في الداخل كانت تبكي صائحة.. أوه.. إنه من شأنه.. من شأنه.. بل له كل الشأن بهذا!

صاح بوحشية:

ـ لكنني سأجعله من شأني.. لن أسمح لك أن تضيعي حياتك لو استطعت.. روي يأخذ دائماً ما يريد، وإلى الجحيم بالعواقب. لكن أنت.. ظننتك تحترمين نفسك أكثر، حمراء! لكن يبدو أنني كنت مخطئاً!

قالت وعيناها تلمعان بدموع لم تخفها:

ـ يبدو أننا كنا مخطئين معاً!

كان صوت صغير يصيح في داخل رأسها.. قولي له.. أخبريه أيتها الحمقاء! لكن كبريائها كانت ترد: إنه لا يثق بك! كيف يمكنه التفكير بمثل هذا لو أنه يحبك حقاً؟

سألت متصلبة: هل هذا كل شيء لانس؟

جذبها بقسوة إليه وعيناه تشعان وأصابعه تحفر لحمها:

ـ لا.. لكنه يكفي.

صمت قليلاً ثم أكمل بسخرية تبرز مدى ازدرائه:

ـ لطالما عرفت أنني يجب أن أبتعد عنك حمراء.. منذ البداية كنت

كارثة.. وكان يجب أن أثق بغرائزي.. لكنك جميلة جداً.. وأنا من البشر.

ترك كتفيها يخشونة:

ـ أتمنى لروي الحظ الطيب.. لكنني أرفض أن أشاركه بحظوتك.

قالت عبر أسنانها المشدودة:

ـ لا أحد يطلب منك هذا.. اخرج من حياتي لانس.

نظر إليها بتأمل رأسها نصف المحني.. ثم تخطاها وخرج.. صافقاً الباب خلفه بعنف.

* * *

٩ ـ هل الحب غبي!

«بوردو» مدينة فاتنة.. لو كانت مايسي في مزاج أفضل لتمتعت بسحرها أكثر. لاحظت في طريقها من المطار مع أمها ووايد أن هناك تاريخاً في المباني.. وأن تناسق الشوارع العريضة، والساحات، التماثيل، النصب التذكارية والهندسة الرشيقة للجسور التي تقطع النهر، تضيف جمالاً ملموساً للمدينة.

نظرت نانسي إلى ابنتها بحدة لدى وصولها لكنها لم تعلق على الوجه الشاحب والدوائر السوداء تحت عينيها.. وما إن استقروا في الجناح الخاص الذي استأجره وايد في فندق «رويال ميدوك» المطل على نُصب «جيروندين» حتى قالت نانسي: لدى وايد تدريب مع الأوركسترا بعد ساعة، والمكان هنا مناسب لأن الفندق لا يبعد سوى مسافة قصيرة عن المسرح.. وإذا أحسست بالرغبة، ستتجول فيما بعد في المكان، فهو يستحق الجهد.. أتريدين شيئاً تأكلينه مايسي؟

هزت مايسي رأسها رافضة: سأستحم فقط وأغيّر ملابسي ثم نخرج، أمي.

ابتسمت بإشراق لتصرف النظرة القلقة عن وجه أمها.

ـ سأحب شراباً بارداً، لكن لا شيء للأكل.. شكراً.

ـ سأطلب الشراب لك، وهناك حمام متصل بغرفة نومك حبيبتي.. خذي وقتك! لا داعي للعجلة.

كان «الغراندتياتر دو بوردو» مبنى أبيض ضخماً قديم الطراز.. بعد مشاهدتهما لكل ما يجب أن تراه جلستا في مؤخرة قاعة الموسيقى تنتظران وايد لينهي تدريباته.. وأمسكت نانسي ذراع ابنتها مبتسمة: لن تتوقع منك المجيء إلى الحفلة الموسيقية الليلة مايسي.. فهذا كثير عليك. على أي حال، تبدين كأنك بحاجة إلى نوم عميق، ولقد حجزت لنا مقعدين للغد.

استيقظت مايسي في الصباح التالي تحس أنها تميل للمرح.. مع أنها لا تظن أنها ستخدع أحداً.. وامتنت لنانسي ووايد لعدم طرحهما أية أسئلة محرجة، فهي لن تستطيع أن تتكلم عما بها.. عرفت وقت الفطور أن الحفلة الموسيقية استقبلت استقبالاً جيداً في ليلتها الأولى، ومضت تخبرهما قصة زيارتها المسلية إلى مكاتب بلايوود، وذهول روي حين أعطته مخطوطة قصتها.. وسألت نانسي وهو يرتشف القهوة: وهل عرف لانس؟

سؤال كان يجب على مايسي أن تتوقعه.. لكنها لم تتوقعه.. وفضحها اندفاع الحرارة إلى وجهها. وتمتمت: لا.. وحده روي يعرف.

رفعت نانسي حاجبيها وهز وايد رأسه.

ذلك المساء، وهي تنظر إلى نفسها بيأس في المرآة، تساءلت مايسي عما إذا كان يجب أن تفضي إلى أمها بسرها. لكنها صرفت الفكرة منتهدة فهي تعرف ماذا ستقول نانسي بالضبط.. ستسمعها تقول: الكبرياء شيء غبي يشغل المرء نفسه به مايسي. لو أنك شرحت سبب زيارة روي لك، لما كنت الآن في الحالة التي أنت فيها.. كيف تتوقعين من لانس أن يثق بك وهو يتعامل يومياً مع مجرمين، مخادعين، كاذبين، في حياته العملية؟

هذا ما ستقوله أمها لو أفضت لها.. وكل هذا صحيح.. لكن صحيح كذلك أن لانس يظنها مجرمة مخادعة، كاذبة كذلك. رفعت شعرها كي تثبته بأمشاط صغيرة، بعنف أكثر من اللازم. ما كان يجب أن تفاجئها النتيجة.. فهي تعرف أنه ليس صبياً بارداً، وأن تحت مظهره البارد الذي

بناه عبر السنين، الكثير من النار والطاقة..

سمعت نانسي تنادي: هناك شخص على الباب مايسي.. أيمكن أن تردي؟ أنا لست جاهزة.

تفحصت مايسي ساعتها تظن سيارة الأجرة وصلت باكراً، ثم ذهبت لتفتح الباب.

ـ مرحباً حمراء.

لانس! تدفق الدم حارقاً إلى وجهها، فاستدارت على عقبيها وركضت إلى غرفتها. ولحق لانس بها، وأمسك معصمها ليعيق اندفاعها. نظرت إلى يده وقالت: أتسمح؟

تراخت يده وسحبها على مضض، وهي تنظر إليه بازدراء أرضاها اللون الأحمر القائم على وجهه.

سألته: أعتقد أن هذا من صنع أمي؟

ـ جزئياً.. لقد أردت أن أراك.. واتصلت ليلة أمس.

جاء صوت نانسي: من الطارق مايسي؟

ـ هكذا إذن.. لم تقل لي. تعرف أنني سأغادر المكان لحظة أعرف أنك قادم.

ـ حمراء..

خرجت نانسي من غرفتها: لانس.. حبيبي.. لقد استطعت المجيء.. ما ألطف هذا.

ومدت يديها مبتسمة: أليست مفاجأة حلوة مايسي.

وتقبلت عناقاً من لانس على الطريقة الفرنسية.

وهي تنظر إليه الآن، أحست مايسي بقلبها يلتوي من الشوق الذي جعلها تحس بالمرض.. بدا لها كما هو، لانس في بذلة سوداء يبدو لانس بنفسه.

قالت لأمها متحدية: لم تقولي لي إنه قادم أمي..

اتسعت عينا نانسي الخضراوان.

ـ لأنني لم أكن متأكدة أنه سيأتي، حبيبتي. هل استقريت في غرفتك لانس؟

هز رأسه: إنها في الطابق الثاني.. هل خرج وايد؟

ـ منذ ساعة.

نظرت نانسي إلى الزهور في يد لانس، فتذكر وابتسم وقدم لها إحدى الباقتين. قالت: أوه لانس.. ما أجملها، شكراً لك أحب الورود.

عادت إلى غرفتها تنادي ابنتها: صبي له بعض العصير مايسي.. أنا واثقة أنه بحاجة إلى ما يرطب فمه.

واختفت في زوبعة من القماش الحريري الأخضر.

تقدمت إلى الطاولة تصب قليلاً من العصير في كوب، وتتلقى من لانس «شكراً لك»، وأعطته له. تقدم يأخذ الكوب ويقدم الباقة الثانية لها.

قالت مترددة: أنا لم أطلبك هنا، لكنني سأتقبل الوضع لأجل أمي.

أخذت الزهور فتفرس بها لحظات ثم قال بهدوء: حتى المجرم يسمح له بالدفاع عن نفسه حمراء.

لم يبدُ في ابتسامتها شيء من المرح: على أي حال، لست مضطرة أن أسمعك.

وعادت إلى غرفتها.. حيث وقفت قليلاً وهي ترتجف، ثم أخذت نفساً عميقاً وثبتت وردة على فستانها. بدا لونها الأبيض كالحليب مؤثراً جداً على لون الفستان المشمشي.

* * *

نظر وايد وعصا المايسترو في يده المرفوعة إلى الأوركسترا بحاجبين مرتفعين، وبحركة سريعة إلى الأسفل بيده انطلقت موسيقى واغنر لتملأ القاعة.. وتذكرت مايسي ليلة حفلة الباربيكان منذ أقل من أسبوع.. وتذكرت سحر الموسيقى والسعادة التي تلت.. خلال الاستراحة وقد

ذهب لانس بحضر المرطبات، قالت مايسي لأمها متجهمة: أمي.. ما اللعبة التي تلعبينها؟

أدارت نانسي لها وجهاً هادئاً: أتعنين مجيء لانس إلى هنا؟ عزيزتي.. ماذا يمكنني أن ألعب؟ اتصل مساء الأمس ساعة عودتنا من المسرح، وطلب أن يكلمك.. قلت له إنك نائمة، فسأل إلى متى ستبقين في بوردو فقلت له طبعاً، فليس الأمر سراً.. فكرت أنه سيحضر، لكنني لم أكن واثقة. وحجز وايد له غرفة مسبقاً، وطلب تذكرة إضافية للمسرح. لم أقل لك شيئاً لأنني عرفت أنك قد تفعلين شيئاً سخيفاً.. كأن تذهبي مثلاً.

ـ أنت محقة.. كنت سأذهب!

في طريق العودة إلى الفندق، أعلن لانس أنه سيخرج ليتمشى قبل النوم.. وتمنى ليلة سعيدة لنانسي ووايد، ثم استدار إلى مايسي ليفاجئها بقوله: تهنئتي لك على كتابيك حمراء.

والتفت مجدداً إلى نانسي: يجب أن تكوني فخورة بابنتك.

ابتسمت نانسي ترد: أنا فخورة.

والتفتت إلى ابنتها: لم أكن أعرف أنه يعرف؟

قال لانس وعيناه مستقرتان على مايسي: لقد أخبرني روي.. وشكراً على الإهداء حمراء، إنه نوع من المديح.. وهذا شرف لي.

حيا الجميع متمنياً ليلة سعيدة وتركهم، لتلاحق جسده الطويل ثلاثة أزواج من العيون، وتوقف عند الباب متردداً ثم فتحه ليخرج.

قالت نانسي: إهداء..؟ مايسي.. حبيبتي، يا لها من فكرة رائعة..

نظرت إلى وجه ابنتها وصمتت.. ثم نظرت متأوهة بصمت إلى زوجها وهم يركبون المصعد.

في الصباح التالي كان الحديث على الفطور محصوراً بين نانسي وزوجها، مع قليل من المشاركة من لانس.. في النهاية، نقلت نانسي

نظرها منه إلى ابنتها وقالت بخشونة: أرجو أن تكونا متعقلين وتزيحا سوء التفاهم الذي بينكما.. فمهما حدث، لا يستحق كل هذا التصرف الطفولي.. أنا لست سعيدة برؤية وجهك المنجهم لانس.. وأنت مايسي أكثر عناداً.. وتبدين مريضة حقاً.

قاطعتها مايسي بحدة: أمي.. أرجوك!

تابعت لانسي متجاهلة المقاطعة: أنا آسفة.. في العادة لا أتدخل.. لكنني راقبتكما تتشاجران العديد من السنين.. وآن الوقت لتتوقفا عن هذا.. الآن، بمكنك وايد أن تمسح التجهم عن وجهك وتطلب إنزال حقائبنا.

لحق لانس سيارة الأجرة حتى المطار.. وبينما الأم تقبلها مودعة تمتمت لها: مايسي.. حبيبتي، لا تدعي كبرياءك تقف في وجه سعادتك.. لقد أحبك لانس لسنوات.. لا.. لا.. لم يقل هذا أبداً.. لكني أعرفه جيداً، كوني سعيدة!

ضمت ابنتها بين ذراعيها، وتعلقتا ببعضهما للحظات طويلة قبل أن تبتعدا.. وقال وايد بلطف: وداعاً حبيبتي، تابعي الاتصال.

نظر نحو لانس الذي كان يودع زوجته وأكمل: ماذا عن إعطاء المسكين فرصة ليقول كلمته، هه.. حبيبتي؟ لكن لا تستسلمي بسهولة.. دعبه يزحف قليلاً هه؟

أعطاها منديله يخبئها قليلاً وهي تمسح دموعها وتضحك مختنقة.. ابتسم وايد لها وأمسك ذراع زوجته يقودها بعيداً.

كان سقف الجاغوار مرتداً إلى الوراء، وشمس نيسان رائعة دافئة.. حين أدار لانس السيارة بعيداً عن بوردو، نظرت إليه مايسي بحدة ثم حدقت إلى الأمام. لم يتكلما.. فالسقف المفتوح كان يجعل الكلام صعباً.. وقاد لانس السيارة بسرعة ومهارة نحو الساحل. كانت الطرقات الطويلة المستقيمة تقطع الأراضي الريفية.. ثم أصبحت الطريق محفوفة

بالغابات إلى أن بدا المحيط الأطلسي ممتداً أمامهما.

كانت «غراند كروهوت» في نيسان مهجورة والمطعم المنعزل مقفلاً وموقف السيارات فارغاً.. بدا الشاطىء كله مهجوراً.. كان البحر يتلألأ بلونه الأزرق الأخضر، ونفخ الهواء القادم منه في شعر مايسي، إلى أن ربطته بمنديل.

واضح أن لانس أتى بها إلى هنا ليتكلما.. وقفت على تلة رمل تنظر في اتجاهين.. كان الشاطىء يمتد على مدّ النظر.. وعرفت أن لانس يراقبها فأحست بخديها يدفآن.

قال: هل نسير؟

أطرقت موافقة، ونزلت التلة بسرعة تخلع حذاءها وجوربها النايلون وتسير حافية فوق الرمال، لينضم لانس إليها عند حافة الماء.

ـ حمراء.. لماذا لا تنظرين إلي؟

سمحت مايسي للمياه أن تصل إلى قدميها ثم تراجعت.. نظرت إلى الأفق ونستانها القطني يتطاير.. ثم ردت بسؤال: كيف تمكنت أن تكون هنا.. وعملك.. أعني؟

ـ حمراء.. أيمكن أن تنظري إليّ؟

ـ لا.. لأنني لو فعلت فسأضيع.. وأنت تعرف هذا.. وهناك كلام.. إيضاحات.. قبل هذا.

دس يديه في جيبي بنطلونه وتطلع إلى حجر كبير غارق في الرمل، ثم قال: لقد خططت لبضع أيام راحة هذا الأسبوع، وكنت آمل أن أدعوك لتقضيها معاً.

ـ قبل أن تدعوني إلى حفلة باربيكان الموسيقية؟

ـ أجل.

ـ ظننت أنني سأقع بين يديك كالخوخة الناضجة؟

ـ بل أملت أن أقنعك بالزواج مني.

استدارت: أوه!

رأت القسمات الجامدة كالقناع، العينين المتعبتين، الخطوط العميقة، وقالت بحدة: أنت أحمق لانس.. أتعرف هذا؟

ابتسم بضعف: تكمن المشكلة في هذا الواقع تماماً.

فجأة كانت بين ذراعيه.. ورفعت قبضتيها تسدد بهما ضربات إلى كتفيه، نصف ضاحكة، نصف باكية.

ـ كم مرة يجب أن أقول لك أن روي لا يعني لي شيئاً؟ أيها المغلق الرأس!

لفت ذراعيها حول عنقه فأخذ يتلفظ باسمها وهو يشدها بعمق.

ثم تأوه: مغلق الرأس؟ أجل! لكنك يجب أن تتذكري أنني مسكين أحمق واقع في الحب.. حين يصاب الرجل بمثل هذا الوباء، يحتاج إلى الشفقة، لأن ذكاءه يصبح معدوماً.. هل ستسامحيني حمراء لأنني شككت بك؟

ضحكت مخنوقة وخلّلت أصابعها في شعره.

ـ أيها الأحمق، طبعاً أسامحك. وتعرف هذا على أي حال.. تعرف تماماً ما أشعر به نحوك.. على الأقل إذا كنت لا تعرف، يجب أن تعرف.

مررت يدها على تجويف خده بلطف: ظننت أنني أظهرت لك كم أحبك.

ـ وهذا ما ظننته كذلك إلى أن رأيتك بين ذراعي روي، فأعماني الغضب والغيرة.

قالت مترددة: قالت لي أمي لتوها إنك تحبني منذ وقت طويل.

كتمت أنفاسها ورأته يبتسم فأكملت: أوه.. يا إلهي! كم كنت حمقاء عمياء!

ـ أمك سيدة بعيدة النظر.

لف ذراعه حول خصرها وسارا معاً على رمال الشاطىء.. وأكمل:

لم يرق لي الحب يوماً. لكن حين جعلني إحساسي نحوك أبقى صاحياً خلال الليل، أخذت أجاهد كي لا تعرفي.

ضحك بيأس وأكمل: لماذا؟ لأنني لم أكن أظن أن لدي فرصة.. العدائية التي كانت دائماً بيننا ونحن صغار طالت كثيراً.. ثم كان هناك روي.

توقفت مايسي عن السير: لانس.. نحن دائماً نعود إلى روي.

ـ لأنه دائماً موجود.. بيننا حمراء.. لا.. اصغي إليّ، دعيني أحاول أن أشرح.. طوال سنوات نمونا، تربينا كأخوة.. ولا بد أن روي كان يظنني أحد أفراد أسرته إلى أن كبر وفهم الفرق.. قمنا بكل شيء معاً.. وظننا الناس توأماً.. مع أننا كنا أضداداً في كل شيء.. هو أشقر وجميل يضحك دائماً.. ويمكنه التلاعب بأي شخص بإصبعه وكان يفعل هذا دائماً.. بينما كنت أنا صبياً وقوراً صعب المراس، الابتسامة نادرة مني.. كمثل معظم الأقارب، أحببنا بعضنا وكرهنا بعضنا مراراً. لعبنا، تشاجرنا، ومع أن روي لم يكن يوماً خصماً جيداً، ولا يهتم كثيراً بهذا، كنت أنا أنتظرك! وعندما كبرنا، برز مثال واضح.. روي السهل المعشر، المنطلق المرح، وأنا الصعب المراس المزاجي، غير المتواصل.

صمت لانس فقالت: إلى أن تزوج والدك خالتي هيلاري.

هز رأسه ورقّ وجهه: دخلت هيلاري حياتي وأصبحت جزءاً من عائلة أخيراً.. كانت رائعة.. لكنك تعرفين هذا.. فهي كأمك تماماً. حين جئت أنت إلى مسرح الأحداث لأول مرة، رفضتك بمرارة، وتمت بذلك الإعلان التاريخي أننا لسنا من الأقارب.

تمتمت: بينما كنت على استعداد كي أعبدك.

تأوه لانس ثم ضحك: صدقيني حمراء.. ندمت على تلك الكلمات لحظة بدرت مني.. لكن وقت الندم فات.. وبدأنا نلعب أدواراً وزعت علينا.. أنت وأنا.. بين حين وآخر كنا نحاول التخلي عنها، لكننا كنا

شيطانين حساسين . ألم نكن هكذا؟ كنا نرغب أن ننتمي إلى العائلة ونتقاتل على موطىء قدم.

كشرت مايسي وجهها: لا تذكرني كم كنت شريرة. كان يبدو أن شيئاً يدفعني لكي أتصرف بالطريقة التي تصرفتها معك، وهذا أمر مخجل لطفلة في مثل عمري.

ضحك لانس: كنت تدفعيني إلى الجنون.. لكن في أعماقي كنت معجباً بشجاعتك، ومع تقدم السنوات، وجدت نفسي أرغب في صداقتك، وأحسد ما تتشاركين به مع روي، لكنني لم أحاول مشاركتكما خوفاً من الفشل.. ثم حين عدت من «كامبردج»، وبدا أن الجميع يفترض أنك وروي مقربين، لم أندهش.. هل تذكرين حفلة ميلادك الواحد والعشرين؟ كانت قبل تحطم الطائرة بشهرين، وصدمني يومها محاولتي أن أجعلك تغيرين رأيك عني. كنت دائماً أحترم تفكيرك الواعي وشجاعتك.. ثم بدوت لي مذهلة، شجاعة، والشبان يغمى عليهم تحت قدميك، ووقعت رأساً على عقب في حبك، كالبقية.

رفعت حاجبيها مصدومة: لم أدرك هذا أبداً.

ـ لطالما أملت أن لا تدركي. لقد كنت دائماً بارعاً في إخفاء مشاعري، ولم أكن أنوي منافسة روي.. أي شخص آخر، ما عدا روي. هكذا وقفت جانباً أراقبكما معاً وأفكر أنكما متناسبان وحسدتك على قدرتك على جذب الناس مثلما يجذب العسل النحل إليه.. ثم قتل والدي وهيلاري وهذا ما وضع حداً لأشياء كثيرة.. كنت دائماً تدخلين وتخرجين في حياتي، وفي ذلك الوقت كنت قد أقنعت نفسي أنني شفيت منك.

جذبها بعيداً عن الريح وراء برج مراقبة اسمنتي من بقايا الحرب، وضمها طويلاً.. ثم قال: أنا لم أعش حياة ناسك ولا أريد خداعك، ولو أن أحداً بدا لي ولو قليلاً مثلك، لتزوجت. لكنني لم أجد أحداً.

أمسك يدها وأخذ يجرها صعوداً على التل الرملي، فسألت بوقار

مزيف: هل مسموح لي أن أنتمي باسم دوللي وودز هنا؟

توقف لانس: سنتكلم عنها هذه المرة فقط لا غير!

وأكمل بها الجري صعوداً بضع باردات، ثم استراح يأخذ نفساً عميقاً قبل أن يكمل الطريق عبر ممر تحيط به الأشجار: قبل أن تتدخل العمة أنجيلا وروزلين، لم تكن دوللي أكثر من زميلة عمل.. إنها رفيقة جيدة، ذكية، لكنني لم أرغب يوماً أن أجعلها زوجتي.. هل هذا مفهوم؟

ـ أجل.. سيدي اللورد.

ـ كنت مغتاظاً من نفسي لعدم انتباهي لما كان يجري، ثم حين عرفت حاولت إبعاد نفسي بهدوء ولطف.. لكنني لم أستطع التهرب من آخر حفلة عشاء.. ولمعلوماتك، لا، أنا لم أوصلها إلى بيتها.. والدها القاضي هو الذي أوصلها.. لقد أدركت لتوي أن كل هذا النقاش جعلني أجوع، فلنذهب لتناول الغداء، ممكن؟

أول بضع أميال، ظلا صامتين يبتسمان لبعضهما بين حين وآخر، إلى أن سألت مايسي: لانس.. لماذا كنت واثقاً جداً أنني وروي كنا.. كنا متفاهمين؟

رد ببطء: سألته أكثر من مرة ما الذي تنتظراه وقال إنه لن يستعجلك.. وأن لديك الكثير تفعلينه في الحياة قبل أن تستقري كزوجة لناشر، وأن هذا يناسبه لأنه لا يريد الزواج بعد. قال إنكما تفهمان بعضكما تماماً، وستتزوجان في الوقت الملائم لكما معاً.

تطيبت مايسي: ولماذا هذا الادعاء؟

رفع يدها القريبة منه إلى فمه: لقد فكرت بهذا في الأسابيع القليلة الماضية، وأظنه كان يقول ما كان جزء منه يريد أن يصدقه.. إنه يحبك بطريقته، لكنك لا تتناسبين مع مخططاته، بينما روزلين تناسبه. وأظنه كان منقسماً بين اتجاهين ويحارب مشاعره نحوك..

ـ كان يخدع نفسه بأن مشاعري نحوه أقوى مما هي.

- . . ثم ظهرت روزلين . و . . هوويا . . حدث التصادم .

- وظننت أنني سأتألم .

- ظننتك عدت من أميركا لأن الكلام وصل إليك أنه يقابل روزلين .

- هل سيكونان سعيدين لانس؟

- من يعرف؟ لكن روزلين تتدبر أمرها، إنها مجنونة قاسية، وتستطيع أن تعيده إليها دائماً بسبب مال لورنس . . سوف يشرد، فهكذا هو .

ارتفع اللون إلى خدي مايسي، ودست أصابعها في شعرها متوترة .

- أنت عرفته أكثر مني لانس . . ذلك العناق الذي رأيته . . لم يكن عناق صديق قديم . لقد فاجأني، أحبطني حتى . . ثم دخلت أنت وأنا أحس بالذنب .

هداها لانس : كنا مترددين . . كلانا . . كان اكتشافنا لحبنا جديداً ولا زال ضعيفاً . . وأخشى أن يكون للماضي تأثير كبير على ما حصل . . لكن ما من مزيد . . هه؟

عند مفترق الطرق مرا بمسرح حادثة سير . . ولم يقل أحدهما شيء، ثم وضعت مايسي يدها على خصر لانس طلباً للمواساة، قائلة : لا يعرف المرء ماذا سيحدث له . . أليس كذلك؟ لا وقت نضيعه في سوء التفاهم .

دخل كل منهما إلى غرفته ليغتسل، والتقيا في قاعة الطعام . . أحست مايسي بالجوع فجأة لأول مرة منذ ثلاثة أيام . . خلال تناولهما الطعام، سألت فجأة : كيف عرفت أنني هنا في بوردو؟ أنا لم أخبرك . . لقد نسيت .

رد بخبث : لقد أوقعت بصديقتك ستيلا .

ضحكت مايسي : أشك في أن تكون احتاجت إلى الكثير من الإقناع، فهي موافقة عليك بجنون!

ماتت الضحكة وأكملت متجهمة : لم أكن أدرك ضعفك تجاه روي . كنت أعتقد أنك تفهم العلاقة بيننا .

مد يده إلى الطاولة، ودون تردد أعطته يدها ليستبقيها .

- وأنا لم أكن أدرك أنني قادر على تلك الغيرة المؤلمة التي أحسست بها حين رأيتك بين ذراعيه . . كنت قد أوقفت سيارتي بعيداً وبدأت السير على الرصيف، ورأيت سيارة روي «الموستنغ» خارج منزلك . صدمني هذا لحظات، فتوقفت هناك . . ثم تحركتما معاً إلى أمام النافذة المفتوحة . . ونعرفين الباقي .

قالت بصوت ناعم : كنت مخيفاً .

مد يده الأخرى فأمسكت بها .

- بعد أن أكدت لي أن روي لا يعني لك شيئاً بالمعنى الرومانسي . . بدأت أفكر أنني أستطيع البدء في مغازلتك . . وأن أبعدك عن التفكير أنني غول شرير ا . . كنت تعرفين ما أفعل، أليس كذلك حمراء؟

- أنا . . ظننت أنني أعرف . . وأملت أن أكون على حق .

- حين كنت تعيشين تحت سقف بيتي، لم أستطع أن استغل الفرصة . . أحبك حمراء . . فهل تتزوجيني؟

زاد عمق لون وجنتيها، وقالت : أجل . . أرجوك . . حبيبي لانس!

أحست بقوة الحياة تسري في أيديهما المتشابكة، ونظرت كالغرقى في عينيه . شدت ابتسامة أطراف فمه وهو يتمتم : هل تدركين أننا عرضة للاهتمام من الموظفين؟ كل العالم يحب الحبيبين هكذا يقال، والفرنسيون أكثر من غيرهم! فما رأيك أن نكمل احتفالنا في الغرفة ونريح لهم بالهم؟

انحنى رئيس السقاة لهما مودعاً : «موسيو . . مدام» وسارع يلبي طلبهما في إرسال ما طلباه إلى الغرفة .

إنها فكرة ممتازة . . فكرت مايسي بهذا بعدما أنهيا قهوتهما . . وتمتمت : بوردو ستصبح مهجورة .

رد لانس : سنعود إليها مرة أخرى لتقوم بجولة دقيقة .

تنهدت بسعادة : لانس . . لماذا أخبرك روي عن كتاباتي؟ لقد وعدتني بإبقاء هذا سراً بيننا .

حين لم يرد، كررت: لماذا أخبرك؟ هيا لانس.. أخبرني.. هيا!

ـ لقد ضربته!

ـ ماذا فعلت؟ لانس.. أنت لم تفعل هذا!

تشدق مقلداً صوتها: حمراء! لقد فعلت!

ـ لكن.. أنت ضربت روي؟

كور قبضته: ضربته هكذا.

ولكم ذقنها بلطف.

ـ ربما ليس في هذا المكان بالضبط، أشد قسوة بقليل.. وليست المرة الأولى. لا تُظهري مثل هذا القلق حمراء حبيبتي، لم تكن مشاجرة.. وجرت داخل مكتبه.

ـ في منزله؟ ليلة الاثنين؟

هز رأسه: هل قلت لك كم أنت جميلة حمراء؟

ـ شكراً لك، وسأحب أن أسمع المزيد عن هذا الموضوع فيما بعد.. لكننا الآن نتكلم عن سبب تلاكمك مع روي.

ـ أوه.. لم يكن الأمر هكذا.. سألته فقط لماذا ذهب ليراك فضحك وقال إن هذا ليس من شأني، فأثبتت له أنه من شأني.

ضحك: لم أعرف أبداً من كان متدهشاً أكثر، هو أم أنا.

تأوهت: كانت غلطتي! لو كنت قلت لك، لما حدث كل هذا.. لانس.. لا أريد أن أكون مسؤولة عن أي مشاعر سيئة بينكما.

ـ ليس هناك مشاعر سيئة بيننا حمراء، أعدك. روي ليس أبلهاً.. لقد صالحني بسرعة.. وأظهر لي المخطوطة.. عفني عن القول أنني ذهلت وغضبت من نفسي.. وأحببتك أكثر إذا كان هذا ممكناً.. وبدأت أتألم لما تركتك فيه.

ـ كنت أخذت له المخطوطة صباح ذلك اليوم وعرف أنني الكاتبة حين أعطيتها له.

مرر يده على خده متفحصاً: هذا ما قاله.. أتظنين أنني بحاجة إلى حلاقة؟

وضعت ذراعيها حول عنقه تلامس ذقنه بخدها، وقالت ممازحة: بما أنني وحدي من ستكون مهتمة بذقنك، أقول إن لا بأس بها.

تمتم لانس: يا لها من طريقة رائعة لأعرف هذا!

عادت إلى السؤال بقلق:

ـ لانس، ماذا قال روي حين لكمته؟

ـ لم يقع أرضاً في الواقع، حمراء. لكنه تهاوى قليلاً.. أنا لست "رامبو".

جلست أمام المرآة تفلت شعرها المربوط بالمطاط، ونظرت إليه في المرآة:

ـ أوه.. يا إلهي.. وأنا كنت أظنك رامبو!

ضحك: أنا أشبه أكثر بظلك فوكس.

تقدم إلى المرآة يثبت ربطة عنقه.. فانفجرت ضاحكة:

ـ أرى أنك تكلمت كثيراً مع ستيلا! إنها مصممة أنني بنيت شخصية فوكس عليك.. وربما فعلت هذا دون وعي مني.. ماذا قال روي؟

ـ لا شيء في الحال. دعك فكه ونظرنا إلى بعضنا ككلبين مهتاجين. ثم ضحك ومد يده يهنئني.. أو شيء من هذا.

رن جرس الهاتف فذهب ليرد.. أصغى لحظات ثم قال:

ـ أجل.. هل تقرأها لي أرجوك؟

ثم: شكراً لك.

سألت مايسي: ما الأمر لانس؟.. برقية؟

ـ أجل.. من المكتب.. لقد تركت لهم رقم هاتف الفندق في حال جدّ شيء.

ابتسم بخجل: يبدو أنني مُنحت لوباً حربياً.

حركت أنفها بحيرة: ثوباً حريرياً؟

ثم شهقت ووجهها يشرق بالابتهاج:

- الثوب الحريري لانس. . لقد أصبحت مستشاراً حبيبي. . أهنئك. أنا سعيدة لك. . المستشار لانس بلايوود! أنت ذكي! لكنني أتساءل ما إذا كنت أستطيع أن أرفع بطلي فوكس إلى رتبة أعلى؟ يجب أن أفكر بالفكرة قليلاً.

قال لانس بصراحة: أرفض أن يشاركني فوكس بك في هذه اللحظات.

ضحكت ترد بخضوع مرتاب به:

- بأمرك. . لانس.

غادرا بوردو في الصباح التالي. . ينويان رحلة متكاسلة عائدين إلى الوطن. . بقيا يومين في «الرون» بعد استكشاف المدن التاريخية، ثم توجها إلى ميناء كاليه حيث العبارة.

كان اكتشافهما لبعضهما لا يزال جديداً، حتى أن الحديث كان يعود دائماً إلى نفسيهما. . متى كانت أول مرة. .؟ متى أدركت. .؟ ما كان رأيك؟

وهما مستندان إلى سياج السفينة ولانس يحميها من الريح القادم من البحر. . قالت مايسي:

- هناك جانب تعيس داخلي يحزن على روي. لن يكون الحال جيداً بيننا أبداً. . ما رأيك؟

اشتدت ذراعاه حولها:

- لا شيء يبقى على حاله حمراء. . لكن لو أننا جهدنا بما يكفي، بإمكاننا أن نبني. . الوحدة العائلية.

ابتسمت له. . كان الريح قد نفخ اللون الأحمر إلى وجنتيه، شعره الأسود مسترسل متطاير يعطيه مظهراً طفولياً. . وقالت ممازحة:

- أنت مولود برج الجدي المناسب. . أليس كذلك؟ من الغريب أنني لم ألاحظ أنك رجل عائلة. . وآمل أن تكون الأمور على ما يرام بينك وبين روي.

- لا تشغلي بالك بروي. . سوف يقنع نفسه في النهاية أنه لعب دوراً في جمعنا. . بينما من فعل هذا حقاً هو آلين. . بخفاشها اللعين!

ضحك بنعومة وشدها إليه بحيث حملها وهو يستند إلى السياج

- أذكر تلك الليلة بوضوح! لقد رفعت رأسي أتوقع رؤية الآنسة براونتغ لأجدك تقفين أمامي بعينين بريئتين! وفهمت ما يعنيه كتاب الروايات في قولهم إن القلب يمكن أن يتوقف. . فقد توقف قلبي. . وعرفت أخيراً أنني لم أستطع أن أنساك. . وكانت موافقتي على كوميت وسيلة شكر لها للخلاص من الآنسة براونتغ.

ضحك وعانقها بشدة.

قالت مايسي حالمة:

- وأنا وجدت أن عالمي ينقلب رأساً على عقب، وأن رجلاً فظاً له عينان زرقاوان وصوت مخملي، يجعلني أضحك ويرسل القشعريرة في أوصالي، بمجرد ملامستي. وهذا أمر، لم يفعله دائماً بما يكفي.

- أنت محقة. . أنا لم أفعل. . لكنني سأعوض لك عن هذا من الآن وصاعداً.

كانت انكلترا تتمتع بسحر مشمس ولفتت قطعان الغنم نظر مايسي وهما يسرعان بالسيارة إلى موطنهما. . وعند رؤيتها لكنيسة جميلة لدى مرورهما في قرية صغيرة. . قالت:

- لانس، لا أريد حفل عرس كبيراً. . في الواقع. . أنظن أننا قادران على أن نهرب معاً؟

ضحك ونظر إليها.

- أنا أحب السرعة والبساطة، حمراء. . لكن الهرب مأساوي. . ألا

تظنين هذا؟ إذا قابلنا الكاهن بسرعة، وقرأ لنا إعلان الزواج في الكنيسة يوم الأحد، فلا يعود أمامنا سوى انتظار ثلاثة أسابيع ثم نختار اليوم الذي يعجبنا.

ـ أعتقد أنك على حق.. ولسوف نخيب أمل الكثير من الناس لو فعلنا غير هذا.. لكنني أفكر بما هو أقرب! أراهن أن آلين ستحب أن تكون شاهدتي.

ـ وهل بالإمكان تنظيم كل شيء في شهر؟

ردت واثقة من نفسها:

ـ أستطيع التنظيم في أسبوع لو اضطررت. سأرسل برقية لأمي ووايد لأرى متى يمكنهما الحضور.. لا بد أنهما لا زالا في أوروبا، أوه ألن تبتهج أمي؟

بينما كان لانس يدير الجاغوار إلى الطريق الداخلي، صاحت مايسي:

ـ أوه انظر، لقد أزهرت «الكاميليا!» ألا تبدو جميلة؟

أطفأ المحرك وجلسا صامتين، كلاهما ينظر إلى المنزل والحديقة برضى..

قالت مايسي وهما يخرجان من السيارة:

ـ طبعاً.. أنا أتزوجك فقط لأتمكن من العيش هنا دائماً.

ثم نظرت إلى لانس نظرة خوف، لكن وجهه طمأنها على الفور، ورمت نفسها بين ذراعيه تتمتم:

ـ تعرف أنني سأعيش في كوخ خشبي طالما أنا معك.

ـ لست أنوي أن أجعلك تبرهنين عن هذا.

العناق بدأ خفيفاً ثم اشتد ليتركهما معاً مقطوعي الأنفاس.. وابتسم لانس بخشونة:

ـ أمر واحد مؤكد.. سنحصل على الكثير من حِكَم بريسكوت.. هل ندخل لنزف الخبر إليه؟

في تلك اللحظة فتح باب المطبخ، وظهر بريسكوت ليشاهد العناق وخدي مايسي الملتهبين وعينيها البراقتين.. واسترخاء لانس وتصرفه المتملك.. فقطب بوجه عارف وقال بسخط مصطنع:

ـ وفي الوقت المناسب أيضاً!

***

www.rewity.com